منتخب العقد الفريد

لابن عبد ربه الأندلسي ٣٢٨هـ

تهذيب

أحمد الجرابلسي

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

دار الأسوار

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

❋كتاب الجمانة في الوفود.. فإنها مقامات فضل.. يُتخير لها الكلام، وتُستهذب الألفاظ، وتُستجزل المعاني،.. واحد يعدل قبيلة ولسان يعرب عن ألسنة (وافد القوم).. قدموه.. وهو عندهم في غاية الحذلقة واللّسَن.

❋وفود العرب علىٰ كسرىٰ.. قال:.. لم أر للعرب شيئا من خصال الخير في أمر دين ولا دنيا.. قال النعمان (بن المنذر):.. حصونهم ظهور خيلهم، ومهادهم الأرض، وسقوفهم السماء، وجُنّتهم السيوف.. أما سخاؤها، فإنّ أدناهم رجلا الذي تكون عنده البكرة والناب (الناقة المسنة) عليها بلاغه في حموله وشبعه وريّه، فيطرقه الطارق الذي يكتفي بالفِلْذة(قطعة لحم) ويجتزئ بالشّربة، فيعقرها له ويرضىٰ أن يخرج عن دنياه كلها، فيما يكسبه حسن الأحدوثة، وطيب الذكر.. خيلهم أفضل الخيل، ونساؤهم أعفّ النساء.. أما وفاؤها.. إنه ليلجأ إليهم المجرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة، فتكون أنفسهم دون نفسه، وأموالهم دون ماله.

وأما تحاربهم.. وتركهم الانقياد لرجل.. حتىٰ لقد حاولوا أن يكونوا ملوكا أجمعين... أما اليمن التي وصفها الملك فإنما أتىٰ جدّ الملك وليّها الذي أتاه عند غلبة الحبش له علىٰ ملك متّسق؛ وأمر مجتمع؛ فأتاه مسلوبا طريدا مستصرخا، وقد تقاصر عن إيوائه، وصغر في عينه ما شيّد من بنائه، ولولا ما وتر به من يليه من العرب لمال إلىٰ مجال، ولوجد من يجيد الطعان ويغضب للأحرار من غلبة العبيد الأشرار.

- (جمع النعمان وجوه العرب بعدها).. فاقتصّ عليهم مقالات كسرىٰ وما ردّ عليه؛ فقالوا: أيها الملك، وفّقك الله، ما أحسن ما رددت، وأبلغ ما حججته به؛ فمرنا بأمرك، وادعنا إلىٰ ما شئت.

قال: إنما أنا رجل منكم، وإنما ملكت وعززت بمكانكم وما يتخوّف من ناحيتكم، وليس شيء أحبّ إليّ مما سدّد الله به أمركم، وأصلح به شأنكم، وأدام به عزّكم؛ والرأي أن تسيروا بجماعتكم أيها الرهط وتنطلقوا إلىٰ كسرىٰ، فإذا دخلتم نطق كل رجل منكم بما حضره، ليعلم أنّ العرب علىٰ غير ما ظن أو حدّثتْه نفسه؛ ولا ينطق رجل منكم بما يغضبه، فإنه ملك عظيم السلطان، كثير الأعوان مترف معجب بنفسه، ولا تنخزلوا (تضعفوا) له انخزال الخاضع الذليل، وليكن أمر بين ذلك، تظهر به وثاقة حلومكم، وفضل منزلتكم، وعظمة أخطاركم؛ وليكن أول من يبدأ منكم بالكلام أكثم بن صيفي، لسنيّ حاله، ثم تتابعوا علىٰ الأمر من منازلكم التي وضعتكم بها؛ فإنما دعاني إلىٰ التّقدمة

بينكم علمي بميل كل رجل منكم علىٰ التقدم قبل صاحبه؛ فلا يكوننّ ذلك منكم فيجد في آدابكم مطعنا؛ فإنه ملك مترف، وقادر مسلّط.

(وألبسهم من طرائف حلل الملوك وأرسل معهم كتابا لكسرىٰ يقول).. فليسمع الملك، وليغمض عن جفاء إن ظهر من منطقهم، وليكرمني بإكرامهم وتعجيل سراحهم، وقد نسبتهم في أسفل كتابي.. فقام أكثم بن صيفي فقال.. أفضل الملوك أعمّها نفعا.. الصدق منجاة، والكذب مهواة، والشرّ لجاجة، والحزم مركب صعب، والعجز مركب وطيء، آفة الرأي الهوىٰ، والعجز مفتاح الفقر، وخير الأمور الصبر، حسن الظن ورطة، وسوء الظن عصمة، إصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعي، من فسدت بطانته كان كالغاصّ بالماء، شر البلاد بلاد لا أمير بها، شر الملوك من خافه البريء.. يكفيك من الزاد ما بلّغك المحلّ.

ثم قام حاجب بن زرارة فقال: وَرَىٰ زندك، وعلت يدك، وهِيب سلطانك.. العرب أمة.. هي لك وامقة ما تألفتها.. وهي العلقم مرارة، والصاب غضاضة، والعسل حلاوة.. ثم قام الحارث البكري فقال.. جيرانك الأدنون، وأعوانك المعينون، خيولنا جمّة، وجيوشنا فخمة، إن استنجدتنا فغير رُبُض.. وإن طلبتنا فغير غمض (يعني لا يقعدون عن نجدة)، لا ننثني لذعر، ولا نتنكّر لدهر، رماحنا طوال، وأعمارنا قصار... الحرب...إذا جاشت نارها، وسعرت لظاها، وكشفت عن ساقها، جعلت مقادها رمحي، وبرقها سيفي، ورعدها زئيري.

قال كسرىٰ.. أكذلك هو؟

قالوا: فِعالُه أنْطَقُ من لسانه.

ثم قام عمرو بن الشريد السُّلمي فقال: أيها الملك نعُم بالك، ودام في السرور حالك.. وفي كثير ثَقْلة، وفي قليل بُلْغة.. ثم قام خالد بن جعفر الكلابي فقال.. لكل حاجة غُصة، وعَيّ المنطق أشدّ من عيّ السكوت، وعِثار القول أنكىٰ من عثار الوعْث (الطريق).. قال له كسرىٰ: نطقتَ بعقل، وسموتَ بفضل، وعلوتَ بنبل.

ثم قام علقمة العامري فقال.. خير القول أصدقه، وأفضل الطلب أنْجحُه.. لو قستُ كل رجل منهم.. لوجدت له في آبائه دنيًّا أندادا وأكفاء، كلهم إلىٰ الفضل منسوب، وبالشرف والسؤدد موصوف، وبالرأي الفاضل والأدب النافذ معروف، يحمي حماه، ويروي نَداماه، ويذود أعداه؛ لا تخمد ناره، ولا يحترز منه جاره. أيها الملك، من يبْلُ

العرب يعرفْ فضلهم؛ فاصطنع العرب، فإنها الجبال الرواسي عزّا، والبحور الزواخر طميّا (ارتفاعا وعلا)، والنجوم الزواهر شرفا، والحصىٰ عددا؛ فإن تعرف لهم فضلهم يعزّوك، وإن تستصرخهم لا يخذلوك.. ثم قام قيس الشيباني فقال.. لم نقدُم أيها الملك لمُساماة(مفاخرة)، ولم ننتسب لمُعاداة، ولكن لتعلم أنت ورعيتك ومن حضرك من وفود الأمم أنّا في المنطق غير محجمين، وفي اليأس غير مقصرين؛ إن جُورينا فغير مسبوقين، وإن سُومينا فغير مغلوبين.

قال كسرىٰ.. من ائتمن الخانة (الخونة).. ناله. الخطأ.

ثم قام عمرو بن معديكرب. فقال.. عفو الرأي خير من استكراه الفكرة.. ألِنْ لنا كنفك يسلُسْ لك قيادُنا.. ثم قام الحارث المري فقال: إنّ من آفة المنطق الكذب، ومن لؤم الأخلاق الملق.. ثم قال كسرىٰ.. اردعوا سفهاءكم وأقيموا أَوَدَهم، وأحسنوا أدبهم، فإن في ذلك صلاح العامّة.

-قال كسرىٰ لحاجب بن زرارة: إنكم معشر العرب غُدُر.. فرهنه قوسه ثم مات فجاء ابنه عطارد بن حاجب يستردها ويثبت له وفاء العرب بعهودها.

-قال أبو الصلت والد أمية:

لله درهم من عصبة خرجوا** ما إن رأينا لهم في الناس أمثالا

تلك المكارم لا قَعْبان من لبن** شيبا بماء فعادا بعدُ أبوالا

-قال عبد المطلب لسيف بن ذي يزن: أيها الملك أَحَلك محلا رفيعا.. شامخا؛ وأنبتك منبتا طابت أرومته، وعزّت جرثومته، ونبُل أصله، وبَسَق فرعه، في أكرم معدن، وأطيب موطن.. فأنت -أبيتَ اللعنَ- رأس العرب، وربيعها الذي به تخصب.. ولن يهلك من أنت خلَفُه، ولن يخمُل من أنت سلفه.. قال ابن ذي يزن: إذا ولد مولود بتهامة، بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة، إلىٰ يوم القيامة.. فقال عبد المطلب: طال عمرك، ودام ملكك.. قال ابن ذي يزن: ارفع رأسك؛ ثلُج صدرك، وعلا أمرُك.. واحذر عليه اليهود.. لستُ آمنُ أن تدخلهم النّفاسة، من أن تكون لكم الرّياسة.

قال سطيح خال بن نفيلة الغساني:

والناس أولاد علات فمن علموا** أن قد أقلّ فمحقور ومهجور

-أثر عن زمان الفتن.. يحسب المسيء أنه محسن، ودم المؤمن عند المؤمن أحلىٰ من شرب الماء.

-قال لقيط بن عامر بن المنتفق: لن نَعْدَم من رب يضحك خيرا.

-أُحيد: تصغير أحد.. آسني = اجعلني أسوة.

-كتاب النبي عليه السلام لقيلة التميمية.. لقيلة والنسوة من بنات قيلة أن لا يظلمن حقّا، ولا يُكْرهن علىٰ مَنْكَح، وكل مؤمن مسلم لهن نصير، أحسنّ ولا تسئن.

-أثر.. نَقّ قلبك من الدّنس ولا تبال علام قعدت.. نقّ قلبك وكل فيما أحببت.

-جَبَلَة بن الأيهم الغساني بعث إلىٰ حسان بعطاء وقد كفّ بصره، فأتي به وقائد يقوده، فلما دخل قال: يا أمير المؤمنين، إني لأجد رياح آل جفنة عندك.. انصرف حسان وهو يقول:

إنّ ابن جفنة من بقيّة معشر** لم تغذهم آباؤهم باللوم

لم ينسني بالشّام إذ هو ربّها**ملكا ولا متنصرا بالرّوم

يعطي الجزيل ولا يراه عنده** إلا كبعض عطيّة المذموم

فقال له رجل كان في مجلس عمر: أتذكر ملوكا كفرة أبادهم الله وأفناهم؟ قال: ممن الرجل؟ قال: مزني. قال: أما والله لولا سوابق قومك مع رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم لطوّقتك طوق الحمامة.

وأنشد جبلة:

تنصّرت الأشراف من عار لطمة** وما كان فيها لو صبرت لها ضررْ

تكنّفني منها لجاج ونخوة** وبعت لها العين الصحيحة بالعورْ

فيا ليت أمي لم تلدني وليتني** رجعت إلىٰ الأمر الذي قال لي عمرْ

ويا ليتني أرعىٰ المخاض بقفرة** وكنت أسيرا في ربيعة أو مضرْ

ويا ليت لي بالشام أدنىٰ معيشة** أجالس قومي ذاهب السمع والبصر

-سأل عمر عن سعد فقال عمرو بن معديكرب.. أعرابي في نمرته، أسد في تامورته (عرينه)، نبطي في جبايته، يقسم بالسويّة، ويعدل في القضية وينفّل في السريّة؛ وينقل إلينا

حقنا نقل الذّرة.. قال سعد لعمرو بن معديكرب ما معك من القرآن؟ قال: ما معي شيء. قال: إن أمير المؤمنين كتب إليّ أن أعطي الناس علىٰ قدر ما معهم من القرآن. فقال عمرو:

إذا قتلنا ولا يبكي لنا أحد** قالت قريش ألا تلك المقادير

نُعطىٰ السّويّة من طعن له نَفَذٌ** ولا سويّة إذ تعطىٰ الدنانير

-زيد بن منية يصف وفوده إلىٰ معاوية:.. ألبس أردية الليل مرّة، وأخوض في لجج السراب أخرىٰ، موقرا من حسن الظن بك.

-وصف ابن زرارة وفوده علىٰ معاوية قائلا:.. امتطي الليل بعد النهار، وأسِمُ المجاهل بالآثار، يقودني إليك أمل، وتسوقني بلوىٰ، والمجتهد يعذر، وإذ بلغتك فقَطْني (اكفني).

فقال معاوية: احطط عن راحلتك رحلها.. وخرج عبد العزيز بن زرارة مع يزيد بن معاوية إلىٰ الصائفة، فهلك هناك؛ فكتب به يزيد بن معاوية إلىٰ معاوية، فقال لزرارة: أتاني اليوم نعي سيد شباب العرب. قال زرارة: يا أمير المؤمنين، هو ابني أو ابنك. قال: بل ابنك. قال: للموت ما تلد الوالدة.

-قال يزيد لما أعطىٰ ابن جعفر أربعة آلاف ألف:.. إنما أعطيتها أهل المدينة أجمعين، فما يده فيها إلّا عارية.

-لما سمع ابن جعفر من مولاه شعر جميل ذكر المدينة وقال: فإن هذا لا يحسن إلا هناك.

-وفود ابن جعفر علىٰ عبد الملك بن مروان.. قال له الوليد: إنك عمدت إلىٰ عقيلة نساء العرب، وسيدة بني عبد مناف، ففرشتها عبد ثقيف يتفخّذها. قال: وفي هذا عتب عليّ يا بن أخي؟ قال: وما أكثر من هذا؟ قال: والله إنّ أحق الناس أن لا يلومني في هذا لأنت وأبوك؛ إن كان من قبلكم من الولاة ليصلون رحمي، ويعرفون حقي، وإنك وأباك منعتماني ما عندكما حتىٰ ركبني من الدّين ما والله لو أن عبدا مجدّعا حبشيّا أعطاني بها ما أعطاني عبد ثقيف لزوّجتها؛ فإنما فديت بها رقبتي من النار. قال: فما راجعه كلمة حتىٰ عطف عنانه، ومضىٰ حتىٰ دخل علىٰ عبد الملك- وكان الوليد إذا غضب عرف ذلك في وجهه- فلما رآه عبد الملك قال: مالك أبا العباس؟ قال: إنك سلّطت عبد ثقيف وملّكته ورفعته حتىٰ تفخّذ نساء عبد مناف، وأدركته الغيرة. فكتب عبد الملك إلىٰ

الحجّاج يعزم عليه ألّا يضع كتابه من يده حتىٰ يطلّقها... فما قطع الحجّاج عنها رزقا ولا كرامة يجريها عليها حتىٰ خرجت من الدنيا. قال: وما زال واصلا لعبد الله بن جعفر حتىٰ هلك. قال بديح: فما كان يأتي علينا هلال إلا وعندنا عِيْر مقبلة من الحجاج، عليها لُطَف (هدايا) وكسوة وميرة، حتىٰ لحق عبد الله بن جعفر بالله.

-قال يحيىٰ بن الحكم للأمير:.. جمع لك وَخْش (رديء) رقيق الحجاز وأبّاقهم وحبس عنك فلانة. قال: ويلك، وما فلانة هذه؟

قال: ما لم يسمع واد أحد بمثلها قطّ جمالا وكمالا وخلقا وأدبا، لو أراد كرامتك بعث بها إليك. قال: وأين تراها، وأين تكون؟ قال: هي والله معه، وهي نفسه التي بين جنبيه، فلما قال الرسول ما قال، وكان ابن جعفر في أذنه بعض الوقر، إذا سمع ما يكره تصامّ.. قال: أما والله ما كنت أظن أن يفرق بيني وبينك إلا الموت. قالت: وما ذاك؟ قال: إنه حدث أمر، وليس والله كائنا فيه إلا ما أحببتِ، جاء الدهر فيه بما جاء. قالت: وما هو؟ قال:

إن أمير المؤمنين بعث يطلبك، فإن تهوي فذاك، وإلا والله لم يكن أبدا. قالت: ما شيء لك فيه هوىٰ ولا أظنّ فيه فرجا عنك إلا فديته بنفسي، وأرسلت عينها بالبكاء. فقال لها: أما إذا فعلت فلا ترينّ مكروها: فمسحت عينيها، وأشار إليّ فقال: ويحك يا بديح استحثها قبل أن تتقدّم إليّ من القوم بادرة. قال: ودعا بأربع وصائف، ودعا من صاحب نفقته بخمسمئة دينار، ودعا مولاة له كانت تلي طيبه، فدحستْ لها رَبْعة (علبة) عظيمة مملوءة طيبا، ثم قال: عجّلها ويلك. فخرجت أسوقها حتىٰ انتهيت إلىٰ الباب؛ وإذا الفارس قد بلّغ عني، فما تركني الحجّاب أن تمس رجلاي الأرض حتىٰ أدخلت علىٰ عبد الملك وهو يتلظّىٰ، فقال لي يا ماصّ، وكذا أنت المجيب عن أمير المؤمنين والمتهكم برسله؟ قلت: يا أمير المؤمنين، ايذن لي أتكلم. قال: وما تقول يا كذا وكذا؟ قلت: ايذن لي جعلني الله فداك أتكلم. قال:

تكلم. قلت: يا أمير المؤمنين، أنا أصغر شأنا، وأقل خطرا من أن يبلغ كلامي من أمير المؤمنين ما أرىٰ، وهل أنا إلا عبد من عبيد أمير المؤمنين، نعم، قد قلت ما بلغك، وقد يعلم أمير المؤمنين إنّما نعيش في كنف هذا الشيخ، وأنّ الله لم يزل إليه محسنا، فجاءه من قبلك شيء ما أتاه قطّ مثله، إنما طلبت نفسه التي بين جنبيه... ادهن بدهن وارىٰ الشيب.. إيها، لله أبوك.. لأجيزنّك جائزة لو نُشِر لي مروان من قبره ما زدته عليها. فأمر له

بمئة ألف. وايم الله إني لا أحسبه أنفق في هديته ومسيره ذلك وجاريته التي كانت عدل نفسه مئتي ألف.

-كتب ابن مروان للحجاج.. أن ابعث إليّ رجلا يصلح للدين والدنيا، أتخذه سميرا وجليسا وخليّا. فقال الحجاج: ماله إلا عامر الشّعبي.

-قول ابن طلحة لعبد الملك بن مروان:.. إن أول الحوائج، وأحقّ ما قدّم بين يدي الأمور، ما كان لله فيه رضا، ولحق نبيه صلّىٰ الله عليه وسلّم أداء.. عمدت إلىٰ الحجاج.. فوليته الحرمين.. يطؤهم بطَغام أهل الشام (الطّغام: الأراذل).. فيما بينك وبين نبيك غدا إذا جاثاك للخصومة بين يدي الله في أمته. أما والله لا تنجو هنالك إلا بحجة. فارْبَعْ (كُفْ) علىٰ نفسك أودع. فقال له عبد الملك: كذبت ومِنْتَ وظنّ بك الحجاج ما لم يجده فيك؛ وقد يظنّ الخير بغير أهله؛ قم فأنت الكاذب المائن. قال:

فقمت وما أعرف طريقا. فلما خَطْرَفتُ(جاوزت) الستر لحقني لاحق فقال: احبسوا هذا، وقال للحجاج: ادخل. فدخل، فمكث مليّا من النهار لا أشك أنهما في أمري، ثم خرج الآذن فقال: ادخل يا بن طلحة. فلما كشف لي الستر لقيني الحجاج وهو خارج وأنا داخل؛ فاعتنقني وقبّل ما بين يعينيّ، وقال: أما إذا جزىٰ الله المتواخيين خيرا بفضل تواصلهما، فجزاك الله عني أفضل الجزاء؛ فو الله لئن سلمت لك لأرفعنّ ناظرك، ولأُعلينّ كعبك، ولأُتبعنّ الرجال غبارَ قدميك... ولو كنت محابيا أحدا لغرض دنيا لحابيته. ولكني آثرت الله ورسوله.

-قال مالك بن بشير للحجاج لما سأله عن المهلب.. وسعهم بالفضل وأقنعهم بالعدل.. فقال الحجاج لجلسائه: هذا والله الكلام المطبوع لا الكلام المصنوع.

-لما مدح جرير الحجاج.... قال له الحجاج: إن الطاقة تعجز عن المكافأة.. ثم مدح عبد الملك بن مروان فقال له: يا جرير، أترىٰ أم حزرة ترويها مائة ناقة من نَعَمِ كلب؟ قال: إذا لم تروها يا أمير المؤمنين فلا أرواها الله. ثم قال: خذها لا نفعتك! ففي ذلك يقول جرير:

أَعْطوا هنيدة يحدوها ثمانية** ما في عطائهم منّ ولا سرف

-قول جرير في عمر بن عبد العزيز:

لما اجتلتها صروف الدهر كارهة** قامت تنادي بأعلىٰ الصوت: يا عمر!

-دكين الراجز أعطاه عمر ألف درهم لا يملك غيرها يقول:

فو الله ما رأيت ألفا كانت أعظم بركة منها.

-وفود كثير والأحوص ونصيب علىٰ عمر.. قال كثير: وكل واحد منا يُدِلّ عليه بسابقة وإخاء قديم، ونحن لا نشك أن سيشركنا في خلافته، فلما رفعت لنا أعلام خُناصرة(في الشام)، لقينا مسلمة بن عبد الملك، وهو يومئذ فتىٰ العرب، فسلّمنا فردّ، ثم قال: ما بلغكم أن إمامكم لا يقبل الشعر؟ قلنا: ما توضّح إلينا خبر حتىٰ انتهينا إليك. ووجمنا وجمة عرف ذلك فينا...قال لهم عمر: لا يطولنّ عليكم الأمد فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوّكم.. ثم بكىٰ حتىٰ ظننت أنه قاضٍ نحبَه.. قال كثير.. فإن الرجل آخريّ وليس بدنيوي... ولما قال لعمر: أتأذن لي في الإنشاد؟ قال: نعم، ولا تقل إلا حقا. فقلت:

وصدّقت بالفعل المقال مع الذي** أتيت فأمسىٰ راضيا كلّ مسلم

وقد لبِستْ لُبْسَ الهَلُوك ثيابها** تراءىٰ لك الدنيا بكفّ ومعصم

(الهلوك: الفاجرة)

وتومض أحيانا بعين مريضة** وتَبْسم عن مثل الجمان المنظّم

سما لك همّ في الفؤاد مؤرّق** بلغت به أعلىٰ المعالي بسلّم

فما بين شرق الأرض والغرب كلّها** مناد ينادي من فصيح وأعجم

يقول أمير المؤمنين ظلمتني** بأخذ لدينار ولا أخذ درهم

ولو يستطيع المسلمون لقسّموا** لك الشّطر من أعمارهم غير ندّم

قال: إنك مسئول عما قلت. ثم تقدم الأحوص.. فقال:

ولكن رجونا منك مثل الذي به** حُبِينا زمانا من ذويك الأوائل

فإن لم يكن للشّعر عندك موضع** وإن كان مثل الدّرّ في قول قائل

فإنّ لنا قربىٰ ومحض مودّة** وميراث آباء مشوا بالمناصل

رسول الإله المستضاء بنوره** عليه السلام بالضّحىٰ والأصائل

-قال جرير:

يأيها الرّجل المُرْخي عمامته** هذا زمانك إنّي قد مضىٰ زمني

أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه** أني لدىٰ الباب كالمصفود في قرن

وحش المكانة من أهلي ومن ولدي** نائي المَحَلّة عن داري وعن وطني

قال: نعم أبا حزرة ونُعْمىٰ عين.. قال: يا أمير المؤمنين، إن الشعراء ببابك؛ وأقوالهم باقية؛ وسنانهم مسنونة. قال: يا عون، مالي وللشعراء؟ قال:

يا أمير المؤمنين، إن النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم قد مدح وأعطىٰ، وفيه أسوة لكل مسلم. وذكر قول ابن مرداس:

رأيتك يا خير البريّة كلّها** نشرت كتابا جاء بالحقّ مُعْلِما

قال: ابنُ عمك عمر بن أبي ربيعة؟ قال: لا قرّب الله قرابته، ولا حيّا وجهه! أليس هو القائل:

ألا ليت أنّي يوم حانت منيّتي** شممت الذي ما بين عينيك والفم

ويا ليت سلّمىٰ في القبور ضجيعتي** هنالك أو في جنة أو جهنّم

والله لا دخل عليّ أبدا

-وقال لجميل ألستَ القائل:

ألا ليتنا نحيا جميعا وإن نمت** يوافي لدىٰ الموتىٰ ضريحي ضريحُها

أظلّ نهاري لا أراها ويلتقي** مع الليل روحي في المنام وروحُها

اعزُبْ به

-وقال لكثير عزة هو الذي يقول:

لو يسمعون كما سمعت حديثها** خرّوا لعَزّة راكعين سجودا

وقال في الأحوص الأنصاري: أبعده الله ومحقه، وقال في الفرزدق:

أليس هو القائل يفخر بالزنا:

ولست بقائم كالعير يدعو** قبيل الصبح حيّ علىٰ الفلاح

اعزُبْ به. فو الله لا وطئ لي بساطا أبدا وهو كافر.

وقال في جرير أليس القائل:

ذمّ المنازل بعد منزلة اللوىٰ** والعيش بعد أولئك الأقوام

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا** حين الزّيارة فارجعي بسلام

ولما أذن لجرير أنشده:

إني لأرجو منك خيرا عاجلا** والنّفس مولعة بحبّ العاجل

قال: اتق الله يا جرير ولا تقل إلا حقا.

فأنشأ يقول:

كم باليمامة من شعثاء أرملة** ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر

ممن يعدّك تكفي فقد والده** كالفرخ في العشّ لم ينهض ولم يطر

يدعوك دعوة ملهوف كأنّ به** خَبْلا من الجنّ أو مسّا من النُّشَر

لا ينفع الحاضرُ المجهودُ بادينَا** ولا يعود لنا بادٍ علىٰ حضر

هذي الأرامل قد قضّيت حاجتها** فمن لحاجة هذا الأرمل الذّكر

وقال جرير للشعراء في وصف عمر:

رأيت رقىٰ الشيطان لا تستفزّه** وقد كان شيطاني من الجنّ راقيا

-طلب العتابي من يحيىٰ بن أكثم أن يدخله علىٰ المأمون فقال له ما أنا بالحاجب. قال له: قد علمت، ولكنك ذو فضل وذو الفضل مِعْوان. فدخل علىٰ المأمون فقال: يا أمير المؤمنين، أجرني من العتابي ولسانه.. فلما أذن له قال العتابي للمأمون:

لو قُسِم هذا البِرّ علىٰ أهل منىٰ وعرفات لوسعهم، فإنه لا دين إلا بك، ولا دنيا إلا معك!.

-قال الأصمعي: قال لي أبو مهدية: بلغني أن الأعراب والأعزاب سواء في الهجاء. قلت: نعم. قال: فاقرأ:

الْأَعْزابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفاقًا

ولا تقرأ: الأعراب، ولا يغرّنك العزب وإن صام وصلىٰ!.

-قال معاوية لسودة بنت عمارة أنت القائلة لأخيك:

شمِّرْ كفعل أبيك يا بن عمارة** يوم الطّعان وملتقىٰ الأقران

قالت:.. فدع عنك تذكار ما قد نُسي. قال: هيهات، ليس مثل مقام أخيك يُنسىٰ. قالت: صدقت والله يا أمير المؤمنين، ما كان أخي خفيّ المقام، ذليل المكان..إنك للناس سيد، ولأمورهم مُقَلَّد، والله سائلك عما افترض عليك من حقّنا، ولا تزال تُقدم علينا من ينهض بعزّك، ويبسط سلطانك، فيحصدنا حصاد السّنبل، ويدوسنا دياس البقر، ويسومنا الخسيسة، ويسألنا الجليلة.. ثم قالت:

صلّىٰ الإله علىٰ روح تضمّنه** قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحقّ لا يبغي به ثمنا** فصار بالحقّ والإيمان مقرونا

-من دعاء علي: اللهم إني لم آمرهم بظلم خلقك، ولا ترك حقّك.

-قالت بنت عمارة لمعاوية: هي والله إذا الفحشاء واللؤم، إن لم يكن عدلا شاملا، وإلا يسعني ما يسع قومي. قال: هيهات! لمّظكم(عوّدكم) ابن أبي طالب الجرأة علىٰ السلطان، فبطيئا ما تفطمون، وغركم قوله:

فلو كنت بوّابا علىٰ باب جنّة** لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وقوله:

ناديت همدان والأبواب مغلقة** ومثل همدان سنّىٰ فتحة الباب(سهّل)

كالهندوانيّ لم تفلل مضاربه** وجه جميل وقلب غير وجّاب

-قال معاوية لبكارة الهلالية: غيّرك الدهر! قالت.. كذلك هو ذو غِيَر، من عاش كبر ومن مات قبر.. قال عمرو هي القائلة:

يا زيد دونك فاستشر من دارنا** سيفا حساما في التّراب دفينا

قد كنت أذخره ليوم كريهة** فاليوم أبرزه الزمان مصونا

.. قال سعيد بن العاص هي القائلة:

فالله أخّر مدّتي فتطاولت** حتىٰ رأيت من الزمان عجائبا

.. ثم سكتوا. فقالت: يا معاوية، كلامك أعشىٰ بصري وقصّر حجّتي، أنا والله قائلة ما قالوا، وما خفي عليك مني أكثر. فضحك وقال: ليس يمنعنا ذلك من برّك. اذكري حاجتك. قالت: أمّا الآن فلا.

-الزرقاء الهمدانية أرسل معاوية يطلبها فقالت: إن كان أمير المؤمنين جعل الخيار إليّ فإني لا آتيه، وإن كان حتم فالطاعة أولىٰ.. فلما دخلت عليها ذكرها بقولها في صفين.. قالت: يا أمير المؤمنين، مات الرأس، وبتر الذنب، ولم يعد ما ذهب، والدهر ذو غِيَر، ومن تفكر أبصر، والأمر يحدث بعده الأمر.. (قولها مع علي).. فيالها فتنة عمياء، صمّاء بكماء، لا تسمع لناعقها، ولا تنساق لقائدها، إن المصباح لا يضيء في الشمس، ولا تنير الكواكب مع القمر، ولا يقطع الحديد إلا الحديد، ألا من استرشدنا أرشدناه، ومن سألنا أخبرناه. أيها الناس، إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها، فصبرا يا معشر المهاجرين والأنصار علىٰ الغُصَص، فكأن قد اندمل شَعْب الشّتات، والتأمت كلمة العدل، ودمغ الحقّ باطله؛ فلا يجهلنّ أحد فيقول: كيف العدل وأنّىٰ؟ ليقض الله أمرا كان مفعولا. ألا وإنّ خضاب النساء الحنّاء، وخضاب الرجال الدماء، ولهذا اليوم ما بعده:

والصبر خير في الأمور عواقبا إيها في الحرب قدما غير ناكصين ولا متشاكسين.

ثم قال لها: والله يا زرقاء لقد شَرِكتِ عليا في كل دم سفكه.

قالت: أحسن الله بشارتك، وأدام سلامتك؛ فمثلك بشّر بخير وسرّ جليسه.

قال أو يسرّك ذلك؟ قالت: نعم والله، لقد سررت بالخبر فأنّي لي بتصديق الفعل.

فضحك معاوية وقال: والله لوفاؤكم له بعد موته أعجب من حبكم له في حياته.

اذكري حاجتك.

قالت يا أمير المؤمنين، آليت علىٰ نفسي ألّا أسأل أميرا أعنت عليه أبدا، ومثلك أعطىٰ عن غير مسألة، وجاد عن غير طِلْبة.

قال: صدقت! وأمر لها وللذين جاءوا معها بجوائز وكُسًا.

-قالت أم سنان بنت خيثمة لمعاوية: إن لبنىٰ عبد مناف أخلاقا طاهرة وأعلاما ظاهرة وأحلاما وافرة، لا يجهلون بعد علم، ولا يسفهون بعد حلم، ولا ينتقمون بعد عفو، وإن أولىٰ الناس باتباع ما سنّ آباؤهم لأنت. قال: صدقت! نحن كذلك، فكيف قولك:

عزب الرّقاد فمقلتي لا ترقد** والليل يصدر بالهموم ويورد

يا آل مذحج لا مقام فشمّروا** إنّ العدوّ لآل أحمد يقصد

هذا عليّ كالهلال تحفّه** وسط السّماء من الكواكب أسعد

خير الخلائق وابن عمّ محمّد** إن يهدكم بالنّور منه تهتدوا

ما زال مذ شهد الحروب مظفّرا** والنّصر فوق لوائه ما يفقد

فقال رجل من جلسائه.. وهي القائلة:

فاليوم لا خلف يؤمّل بعده** هيهات نأمل بعده إنسيّا

قالت: يا أمير المؤمنين، لسان نطَق، وقول صدَق؛ ولئن تحقق فيك ما ظننّا فحظك الأوفر. والله ما ورّثك الشّنآن في قلوب المسلمين إلّا هؤلاء، فأدحض مقالتهم، وأبعد منزلتهم، فإنك إن فعلت ذلك تزدد من الله قربا، ومن المؤمنين حبا.

قال: وإنك لتقولين ذلك؟ قالت سبحان الله! والله ما مثلك مُدح بباطل. ولا اعُتذر إليه بكذب؛ وإنك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا. كان والله عليّ أحبّ إلينا منك، وأنت أحبّ إلينا من غيرك. قال: ممن؟ قالت: من مروان بن الحكم وسعيد بن العاص. قال: وبم استحققت ذلك عندك؟ قالت: بسعة حلمك وكريم عفوك.

قال: فإنهما يطمعان في ذلك. قالت: هما والله من الرأي علىٰ ما كنت عليه لعثمان بن عفان رحمه الله. قال: والله لقد قاربتِ، فما حاجتك؟

قالت: يا أمير المؤمنين، إن مروان تَبَنّك (أقام) بالمدينة تبنُّكَ من لا يريد منها البراح، لا يحكم بعدل، ولا يقضي بسنّة، يتتبع عثرات المسلمين، ويكشف عورات المؤمنين، حبس ابن ابني، فأتيته، فقال كيت وكيت فألقمته أخشن من الحجر، وألعقته أمرّ من الصّاب ثم رجعت إلىٰ نفسي باللائمة، وقلت: لم لا أصرف ذلك إلىٰ من هو أولىٰ بالعفو منه؟ فأتيتك يا أمير المؤمنين، لتكون في أمري ناظرا، وعليه مُعْدِيا (معينا).

قال: صدقت! لا أسألك عن ذنبه والقيام بحجته اكتبوا لها بإطلاقه.

قالت: يا أمير المؤمنين؛ وأنّىٰ لي بالرجعة وقد نفد زادي، وكلّت راحلتي؟ فأمر لها براحلة وخمسة آلاف درهم.

-ذكر معاوية لعكرشة بنت الأطرش قولها يوم صفين.. إن الجنة لا يرحل عنها من أُوطنها، ولا يهرم من سكنها، ولا يموت من دخلها؛ فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها، ولا تنصرم همومها، وكونوا قوما مستبصرين في دينهم مستظهرين بالصبر علىٰ طلب حقهم؛ إن معاوية دلف إليكم بعجم العرب غلف القلوب، لا يفقهون الإيمان ولا يدرون ما الحكمة؛ دعاهم بالدنيا فأجابوه، واستدعاهم إلىٰ الباطل فلبّوه، فالله الله عباد الله في دين الله؛ إياكم والتواكل، فإن ذلك ينقض عرىٰ الإسلام، ويطفئ نور الحق هذه بدر الصغرىٰ، والعقبة الأخرىٰ. يا معشر المهاجرين والأنصار، امضوا علىٰ بصيرتكم، واصبروا علىٰ عزيمتكم، فكأني بكم غدا ولقد لقيتم أهل الشام كالحمر الناهقة تصقع صقع البقر (صوتها)، وتروث روث العِتاق.

.. قالت:. إن اللبيب إذا كره أمرا لا يحب إعادته، قال: صدقت، فاذكري حاجتك. قالت: إنه كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فتردّ علىٰ فقرائنا؛ وإنّا قد فقدنا ذلك، فما يُجبر لنا كسير؛ ولا يُنعش لنا فقير؛ فإن كان ذلك عن رأيك فمثلك تنبّه من الغفلة وراجع التوبة، وإن كان عن غير رأيك فما مثلك استعان بالخونة ولا استعمل الظّلمة.

قال معاوية: يا هذه، إنه ينوبنا من أمور رعيّتنا أمور تنبثق، وبحور تنفهق (تمتلئ).

قالت: يا سبحان الله. والله ما فرض الله لنا حقا فجعل فيه ضررا علىٰ غيرنا، وهو علام الغيوب.

قال معاوية: يا أهل العراق، نبّهكم عليّ بن أبي طالب فلم تطاقوا! ثم أمر بردّ صدقاتهم فيهم وإنصافهم.

-دارمية الحجونية كانت سوداء كثيرة اللحم... فبعث إليها فجيء بها؛ فقال: ما حالك يا بنة حام؟ فقالت: لست لحام إن عبتني؛ أنا امرأة من بني كنانة. قال: صدقت. أتدرين لم بعثت إليك؟

قالت: لا يعلم الغيب إلا الله. قال: بعثت إليك لأسألك: علام أحببت علياً وأبغضتني؛ وواليته وعاديتني؟ قالت: أو تعفني. قال: لا أعفيك. قالت: أما إذ أبيت، فإني أحببت عليّا علىٰ عدله في الرعية، وقسمه بالسويّة؛ وأبغضتك علىٰ قتال من هو أولىٰ منك بالأمر، وطِلْبَتك ما ليس لك بحق. وواليت عليّا علىٰ ما عقد له رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم من الولاء، وحبّه المساكين، وإعظامه لأهل الدين، وعاديتك علىٰ سفكك الدماء، وجورك في القضاء، وحكمك بالهوىٰ.

قال: فلذلك انتفخ بطنك، وعظم ثدياك، ورَبَتْ عجيزتك، قالت: يا هذا، بهند والله كان يضرب المثل في ذلك لا بي. قال معاوية: يا هذه اربعي، فإنا لم نقل إلا خيرا؛ إنه إذا انتفخ بطن المرأة تمّ خلق ولدها، وإذا عظم ثدياها تروّىٰ رضيعها. وإذا عظمت عجيزتها رَزُن مجلسها. فرجعت وسكنت. قال لها: ويا هذه، هل رأيت عليا؟ قالت: إي والله. قال: فكيف رأيته؟ قال: رأيته والله لم يفتنه المُلْك الذي فتنك، ولم تشغله النعمة التي شغلتك. قال: فهل سمعت كلامه؟ قالت:

نعم والله، فكان يجلو القلوب من العمىٰ كما يجلو الزيت صدأ الطّست. قال:

صدقت! فهل لك من حاجة؟ قالت: أوَ تفعل إذا سألتك؟ قال: نعم. قالت: تعطيني مئة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها. قال: تصنعين بها ماذا؟

قالت: أغذو بألبانها الصّغار، وأستحيي بها الكبار، وأكتسب بها المكارم، وأصلح بها بين العشائر.

قال: فإن أعطيتك ذلك فهل أحلّ عندك محل علي بن أبي طالب؟

قالت: ماء ولا كصَدّاء، ومرعىٰ ولا كالسّعدان، وفتىٰ ولا كمالك، يا سبحان الله، أوَ دونه؟ فأنشأ معاوية يقول:

إذا لم أعد بالحلم منّي عليكم** فمن ذا الذي بعدي يؤمّل للحلم

خذيها هنيئا واذكري فعل ماجد** جزاك علىٰ حرب العداوة بالسلم

ثم قال: أما والله لو كان عليّ حيا ما أعطاك منها شيئا.

قالت: لا والله، ولا وبَرَة واحدة من مال المسلمين.

-قالت أم الخير بنت حريش لمعاوية.. أما أنا فغير زائغة عن طاعة، ولا معتلّة بكذب، ولقد كنت أحبّ لقاء أمير المؤمنين لأمور تختلج في صدري.

فلما شيّعها وأراد مفارقتها قال لها: يا أم الخير، إن أمير المؤمنين كتب إليّ أنه مجازيني بالخير خيرا وبالشر شرا؛ فمالي عندك؟ قالت: يا هذا لا يُطْمعنك برّك بي أن أسرك بباطل. ولا تُؤْيِسْك معرفتي بك أن أقول فيك غير الحق.

فسارت خير مسير حتىٰ قدمت علىٰ معاوية. فأنزلها مع الحُرُم؛ ثم أدخلها في اليوم الرابع وعنده جلساؤه؛ فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

فقال لها: وعليك السلام يا أم الخير، بحقّ ما دعوتني بهذا الاسم. قالت: يا أمير المؤمنين، مه، فإن بديهة السلطان مدحِضة لما يحب علْمَه، ولكلّ أجل كتاب. قال:

صدقت! فكيف حالك يا خالة؟ وكيف كنت في مسيرك؟ قالت: لم أزل يا أمير المؤمنين في خير وعافية حتىٰ صرت إليك؛ فأنا في مجلس أنيق، عند ملك رفيق. قال معاوية: بحسن نيتي ظفرت بكم. قالت: يا أمير المؤمنين، يعيذك الله من دحض المقال وما تردي عاقبته. قال: ليس هذا أردنا. أخبرينا كيف كان كلامك إذ قتل عمار بن ياسر؟ قالت: لم أكن زوّرته قبل، ولا روّيته بعد؛ وإنما كانت كلمات نفثها لساني عند الصدمة؛ فإن أحببت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت. فالتفت معاوية إلىٰ جلسائه فقال: أيكم يحفظ كلامها؟ فقال رجل منهم: أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين. قال: هات. قال: كأني بها وعليها بُرْد زبيديّ كثيف بين النسيج، وهي علىٰ جمل أرْمَك (رمادي) وقد أحيط حولها، وبيدها سوط منتشر الضفيرة، وهي كالفحل يهدر في شِقْشِقَته (ما يخرجه إذا هاج)، تقول: يا أيّها النّاس اتّقوا ربّكم، إنّ زلزلة السّاعة شيء عظيم! إن الله قد أوضح لكم الحق، وأبان الدليل، وبيّن السبيل، ورفع العلم، ولم يدعكم في عَمَاء مدلهمة(خلاء مظلم): فأين تريدون رحمكم الله؟ أفرارا عن أمير المؤمنين، أو فرارا من الزحف، أم رغبة عن الإسلام، أم ارتدادا عن الحق؟ أما سمعتم الله جل ثناؤه يقول: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبارَكُمْ.

ثم رفعت رأسها إلىٰ السماء وهي تقول: اللهم قد عيل الصبر، وضعف اليقين، وانتشرت الرعبة، وبيدك يا ربّ أزمّة القلوب، فاجمع اللهم بها الكلمة علىٰ التقوىٰ، وألف القلوب علىٰ الهدىٰ، واردد الحق إلىٰ أهله. هلمّوا رحمكم الله إلىٰ الإمام العادل والرضيّ التقيّ، والصديق الأكبر؛ إنها إحَن بدرية، وأحقاد جاهلية، وضغائن أُحُدية وثب بها واثب حين الغفلة، ليدرك ثارات بني عبد شمس.

ثم قالت: فَقاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ. صبرا يا معشر المهاجرين والأنصار، قاتلوا علىٰ بصيرة من ربكم، وثبات من دينكم؛ فكأني بكم غدا ولقد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة، فرّت من قسورة، لا تدري أين يُسلك بها من فجاج الأرض، باعوا الآخرة بالدنيا، واشتروا الضلالة بالهدىٰ وباعوا البصيرة بالعمىٰ وعما قليل ليصبحنّ نادمين، حتىٰ تحلّ بهم الندامة فيطلبون الإقالة، ولات حين مناص. إنه من ضلّ والله عن الحق وقع في الباطل. ألا إن أولياء الله استصغروا عمر الدنيا فرفضوها، واستطابوا الآخرة فسعوا لها فالله الله أيها الناس، قبل أن تبطل الحقوق، وتعطّل الحدود،

ويظهر الظالمون، وتقوىٰ كلمة الشيطان؛ فإلىٰ أين تريدون رحمكم الله عن ابن عم رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم وصهره وأبي سبطيه، خُلق من طينته، وتفرّع من نبعته، وخصّه بسرّه، وجعله باب مدينته، وأعلمَ بحبه المسلمين، وأبان ببغضه المنافقين؛ ها هو ذا مفلق الهام، ومكسّر الأصنام؛ صلىٰ والناس مشركون، وأطاع والناس كارهون، فلم يزل في ذلك حتىٰ قتل مبارزي بدر، وأفنىٰ أهل أحد، وهزم الأحزاب، وقتل الله به أهل خيبر، وفرّق به جمع هوازن؛ فيالها من وقائع زرعت في قلوب نفاقا، وردّة وشقاقا، وزادت المؤمنين إيمانا، وقد اجتهدت في القول؛ وبالغت في النصيحة، وبالله التوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله.

فقال معاوية: يا أم الخير، ما أردت بهذا الكلام الا قتلي، ولو قتلتك ما حَرِجْتُ في ذلك.

قالت: والله ما يسوؤني أن يجري قتلي علىٰ يدي من يسعدني الله بشقائه.

قال: هيهات يا كثيرة الفضول. ما تقولين في عثمان بن عفان رحمه الله؟

قالت: وما عسيت أن أقول في عثمان، استخلفه الناس وهم به راضون، وقتلوه وهم له كارهون.

قال معاوية: يا أم الخير؛ هذا أصلك الذي تبنين!.

قالت: لكن الله يشهد وكفىٰ بالله شهيدا؛ ما أردت بعثمان نقصا، ولكن كان سابقا إلىٰ الخير، وإنه لرفيع الدرجة غدا.

قال: فما تقولين في طلحة بن عبيد الله؟ قالت: وما عسىٰ أن أقول في طلحة؟

اغتيل من مأمنه، وأتي من حيث لم يحذر، وقد وعده رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم الجنة.

قال: فما تقولين في الزبير؟ قالت: وما أقول في ابن عمة رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم وحواريّه، وقد شهد له رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم بالجنة، وقد كان سبّاقا إلىٰ كل مكرمة في الإسلام، وأنا أسألك بحق الله يا معاوية، فإنّ قريشا تحدّثت أنك أحلمها: أن تسعني بفضل حلمك، وأن تعفيني من هذه المسائل، وتسألني عما شئت من غيرها.

قال نعم ونَعْمة عين، قد أعفيتك منها. ثم أمر لها بجائزة رفيعة وردّها مكرمة.

-وفدت أروىٰ بنت عبد المطلب علىٰ معاوية فقالت: يا بن أخي، لقد كفرتَ يدَ النعمة، وأسأت لابن عمك الصحبة، وتسمّيت بغير اسمك، وأخذت غير حقك، من غير دين كان منك ولا من آبائك، ولا سابقة في الإسلام، بعد أن كفرتم برسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم، فأتعس الله منكم الجدود، وأضرع (أذل) منكم الخدود، وردّ الحقّ إلىٰ أهله ولو كره المشركون، وكانت كلمتنا هي العليا، ونبينا صلّىٰ الله عليه وسلّم هو المنصور، فولّيتم علينا من بعده، تحتجون بقرابتكم من رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم ونحن أقرب إليه منكم وأولىٰ بهذا الأمر؛ فكنا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون، وكان علي بن أبي طالب رحمه الله بعد نبينا بمنزلة هارون من موسىٰ، فغايتنا الجنة وغايتكم النار.

فقال لها عمرو بن العاص: كفىٰ أيتها العجوز الضالة، وأقصري عن قولك مع ذهاب عقلك، إذ لا تجوز شهادتك وحدك.

فقالت له وأنت يا بن النّبّاغة (اللئيمة) تتكلم! وأمك كانت أشهر امرأة تغنىٰ بمكة، وآخَذَهن لأجرة! ارْبَعْ علىٰ ظَلْعك، واعْنَ بشأن نفسك؛ فو الله ما أنت من قريش في اللباب من حسبها ولا كريم منصبها؛ ولقد ادعاك خمسة نفر من قريش، كلهم يزعم أنه أبوك، فسئلت أمك عنهم، فقالت: كلهم أتاني، فانظروا أشبههم به فألحقوه به، فغلب عليك شبهُ العاص بن وائل فلحقتَ به.

فقال مروان: كفىٰ أيتها العجوز، وأقصدي لما جئت له. فقالت: وأنت أيضا يا بن الزرقاء تتكلم! ثم التفتت إلىٰ معاوية فقالت: والله ما جرّأ عليّ هؤلاء غيرك.

فأجابتها بنت عمي وهي تقول:

خزيتِ في بدر وبعد بدر** يا بنة جبّار عظيم الكفر

فقال: معاوية عفا الله عما سلف يا عمة! هات حاجتك.

قالت: مالي إليك حاجة، وخرجت عنه.

****كتاب المرجانة في مخاطبة الملوك**.. والتزلّف إليهم بسحر البيان، الذي يمازج الرّوح لطافة، ويجري مع النفس رقّة. والكلام الرقيق مصايد القلوب، وإن منه لما يستعطف المستشيط غيظا (الغاضب)، والمندمل حقدا، حتىٰ يطفيء جمرة غيظه، ويسلّ دفائن حقده.

وإن منه لما يستميل قلب اللئيم، ويأخذ بسمع الكريم وبصره. وقد جعله الله تعالىٰ بينه وبين خلقه وسيلة نافعة. وشافعا مقبولا؛ قال تبارك وتعالىٰ: فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

وسنذكر في كتابنا هذا إن شاء الله تعالىٰ من تخلّص من أنشوطة الهلاك، وتفلّت من حبائل المنيّة، بحسن التنصّل، ولطيف التّوصّل، ولين الجواب، ورقيق الاستعتاب.

***البيان:**

كلّ شيء كشف لك قناع المعنىٰ الخفي حتىٰ يتأدّىٰ إلىٰ الفهم ويتقبّله العقل.

قال تعالىٰ: خَلَقَ الْإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَيانَ.

وقال صلّىٰ الله عليه وسلم: «إنّ من البيان لسحرا».

وقالت العرب: أنفذ من الرّميّة كلمة فصيحة.

وقال الراجز:

لقد خشيت أن تكون ساحرا** راوية مرّا ومرّا شاعرا (مرة)

وقال سهل بن هارون: العقل رائد الروح؛ والعلم رائد العقل، والبيان ترجمان العلم.

وقالوا: البيان بصر والعيّ عمىٰ، كما أنّ العلم بصر والجهل عمىٰ؛ والبيان من نتاج العلم. والعيّ من نتاج الجهل.

وقالوا: ليس لمنقوص البيان بهاء، ولو حكّ بيافوخه (رأسه) عنان السماء.

وقال صاحب المنطق(أرسطو): حدّ الإنسان: الحيّ الناطق المبين.

وقال: الروح عماد البدن، والعلم عماد الروح، والبيان عماد العلم.

قال يحيىٰ بن خالد بن برمك: مساءلة الملوك عن حالها من سجيّة النّوكىٰ؛ فإذا أردت أن تقول: كيف أصبح الأمير؟ فقل: صبّح الله الأمير بالنعمة والكرامة.

وإذا كان عليلا فأردت أن تسأله عن حاله، فقل: أنزل الله علىٰ الأمير الشفاء والرحمة؛ فإن الملوك لا تُسأل ولا تُشمّت ولا تُكيّف.

-قال رجل لعبد الملك بن مروان.. فمن أراد بك سوءا جعله الله حصيد سيفك، وطريد خوفك.

-طلب رجل من المنصور تقبيل رأسه تبركا؛ لتبقىٰ أسنانه فخيره بين التقبيل والجائزة فقال: أيسر علي من ذهاب الجائزة ألا تبقىٰ في فمي حاكّة (سن) فضحك المنصور وأمر له بجائزة.

-قبّل صاحب بيت الحكمة يد جعفر بن يحيىٰ لما زاره وقال له: بأبي أنت، ما دعاك إلىٰ أن تحمّل عبدك هذه المنّة التي لا أقوم بشكرها، ولا أقدر أن أكافيء عليها.

-قال هشام لرجل قبّل يده: إنّ العرب ما قبّلت الأيدي إلا هلوعا، ولا قبلتها العجم إلا خضوعا.

-قال المأمون لرجل قبّل يده: إنّ القبلة من المؤمن ذلّة، ومن الذّميّ خديعة؛ ولا حاجة بك أن تذلّ، ولا حاجة بنا أن نخدع.

-مواضع القبل للأب (الرأس) والأخت (الصدر) والزوجة (الفم).

-قال الرشيد لابن زائدة كيف زمانك.. قال يا أمير المؤمنين، أنت الزمان؛ فإن صلَحت صلَح الزمان، وإن فسدت فسد الزمان.

وسأل الرشيد سعيد بن سلم عن بيوتات العرب في الجاهلية والإسلام فقال له: يا أمير المؤمنين الشريف من شرّفتموه.

-وقال الرشيد لواليه أهذا منزلك؟ قال: هو لأمير المؤمنين ولي به. قال: كيف ماؤه؟ قال: أطيب ماء. قال: فكيف هواؤه؟ قال: أصحّ هواء.

-قال المنصور لابن يزيد إني أردتك لأمر قال.. قد أعدّ الله لك مني قلبا معقودا بطاعتك، ورأيا موصولا بنصيحتك، وسيفا مشهورا علىٰ عدوّك.

-قال المأمون لطاهر بن الحسين صف لي ابنك قال.. إن مدحته عبته وإن ذممته اغتبته، ولكنه قِدْح في كفّ مثقّف ليوم نضال.

أمر بعض الخلفاء رجلا بأمر فقال:

أنا أطوع لك من الرّداء، وأذلّ لك من الحذاء.

وقال آخر:

أنا أطوع لك من يدك، وأذلّ لك من نعلك.

-وقال المأمون ليزيد بن مزيد: ما أكثر الخلفاء في ربيعة! قال: بلىٰ، ولكنّ منابرهم الجذوع.

-قال إسحاق بن مسلم للمنصور: من وفىٰ لمن لا يُرجىٰ، كان لمن يُرجىٰ أوفىٰ.

-قال هارون لعبد الملك بن صالح: صف لي منبج. قال: رقيقة الهواء، لينة الوطاء. قال: فصف لي منزلك بها. قال: دون منازل أهلي، وفوق منازل أهلها. قال: ولم وقدرك فوق أقدارهم؟ قال: ذلك خلق أمير المؤمنين أتأسّىٰ به، وأقفو أثره، وأحذو مثاله.

-سأل المأمون غلاما في الديوان: من أنت يا غلام؟ قال: أنا الناشئ في دولتك، والمتقلّب في نعمتك، والمؤمّل لخدمتك، الحسن بن رجاء. قال المأمون: بالإحسان في البديهة تفاضلت العقول؛ ارفعوا هذا الغلام فوق مرتبته.

-لما سمع المتوكل شعر ابن الجهم قال: قوموا التقطوا هذا الجوهر لئلا يضيع.

-قال كاتب المهدي لابن عقال لم أرك منذ اليوم! قال: والله إني لألقاك بشوق، وأغيب عنك بتوق.

-قال نصيب بن رباح للأمير ابن مروان لما طلبه للمنادمة: أصلح الله الأمير، اللون مرمّد، والشعر مفلفل، ولم أقعد إليك بكريم عنصر، ولا بحسن منظر، وإنما هو عقلي ولساني؛ فإن رأيت ألّا تفرق بينهما فافعل.

-قال المأمون لسعيد بن مسلم بن قتيبة: الأمير يجد عندك من حسن الإفهام إذا حَدّثت، وحسن الفهم إذا حُدّثت، ما لا يجده عند غيرك.

-قال بعض العجم لأردشير بن يزدجرد:.. ولا زال ملكك وسلطانك باقيين بقاء الشمس والقمر، زائدين زيادة البحور والأنهار... ووصل إلينا من عظيم رأفتك ما اتصل بأنفسنا اتصال النسيم، فأصبحت قد جمع الله بك الأيادي بعد افتراقها، وألف بين القلوب بعد تباغضها، وأذهب عنا الإحن والحسائك(الأحقاد) بعد توقّد نيرانها، بفضلك الذي لا يدرك بوصف، ولا يحدّ بنعت. فقال أردشير: طوبي للممدوح إذا كان للمدح مستحقّا، وللداعي إذا كان للإجابة أهلا.

-قال حسان للحارث الجفني.. أنّىٰ يناوئك المنذر؟ لَقَذالُك(قفا الرأس) أحسن من وجهه، ولأمّك أحسن من أبيه، ولظلّك خير من شخصه، ولصمتك أبلغ من كلامه، ولشمالك خير من يمينه.

-قال خالد القسري لعمر بن عبد العزيز:

من تكون الخلافة قد زانتْه فأنت قد زِنْتَها، ومن تكون شرّفتْه فأنت قد شرفتَها وأنت كما قال الشاعر:

وإذا الدّرّ زان حسن وجوه** كان للدّرّ حسن وجهك زينا

-قال رجل للمأمون: آيستُ أن يُعاينَ مِثلُك، أما فيما مضىٰ فلا نعرفه، وأما فيما بقي فلا نرجوه؛ فنحن جميعا ندعو لك، ونثني عليك.

خَصُب لنا جنابك، وعَذُب شرابك. وحسنُت نظرتك، وكرُمت مقدرتك. جبرتَ الفقير، وفككتَ الأسير.

-قال رجل لخالد القسري: إنك لتبذل ما جلّ، وتجبر ما اعتلّ، وتكثر ما قل، ففضلك بديع، ورأيك جميع.

-قال شاعر للرشيد: المديح كله دون قدرك، والشعر فيك فوق قدري، ولكني أستحسن قول العتّابي:

ماذا عسىٰ مادح يثني عليك وقد** ناداك في الوحي تقديس وتطهير

فتّ الممادح إلا أنّ ألسننا** مستنطقات بما تخفي الضّمايير

-مدح خالد صفوان رجلا فقال: قريع المنطق، جزل الألفاظ، عربيّ اللسان، قليل الحركات، حسن الإشارات، حلو الشمائل، كثير الطّلاوة، صموتا قؤولا، يهنأ الجرب، ويداوي الدَّبَر (القرحة)، ويفُلّ المحزّ، ويطبّق المفصل(يصيب المعنىٰ). لم يكن بالزَّمِر (قليل المروءة) في مروءته، ولا بالهَذِر (الثرثار) في منطقه، متبوعا غير تابع، كأنه علم في رأسه نار.

-قال الرشيد لسهل بن هارون: من روىٰ من الشعر أحسنه وأجوده، ومن الحديث أصحّه وأبلغه، ومن البيان أفصحه وأوضحه؟ إذا رام أن يقول لم يعجزه... الأعشىٰ.

-قال سهل بن هارون في مجلس المأمون: ما لكم تسمعون ولا تعون... بنو مروان.. عربكم كعجمهم، وعجمهم كعرب بني تميم؛ ولكن كيف يشعر بالدواء من لا يعرف الداء.

-قال العَتَكي للخليفة: الحجاج سيفك الذي لا ينبو، وسهمك الذي لا يطيش.

-قال شبيب بن شيبة عن حديث ولد المنصور:.. ما رأيت كاليوم أبين بيانا، ولا أعرب لسانا، ولا أربط جأشا، ولا أبلّ ريقا، ولا أحسن طريقا.

وقال بعدما خرج لمن سأله: كيف رأيت الناس.. رأيت الداخل راجيا، والخارج راضيا.

-خطبة شبيب.. ألا إن لأمير المؤمنين أشباها أربعة: فمنها الأسد الخادر، والبحر الزاخر، والقمر الباهر، والربيع الناضر.. وأنشد:

وموقف مثل حدّ السّيف قمتُ به** أحمي الذّمار وترميني به الحدق

فما زلقتُ وما ألقيتُ كاذبة** إذا الرّجال علىٰ أمثاله زلقوا

-قال عبد الملك بن مروان لرجل دخل عليه.. لا نحبّ مدح المشاهدة، ولا تزكية اللقاء.

-دخل رجل المنصور فقال: ما أستقصر أجلك، ولا أخاف بخلك، ولا أغتنم مالك؛ وإنّ عطاءك لشرف، وإن سؤالك لزين، وما لامرئ بذل وجهه إليك نقص ولا شين.

-قال العماني للمأمون أنه دخل علىٰ الخلفاء قبله... فلا والله ما رأيت فيهم أبهىٰ منظرا، ولا أحسن وجها، ولا أنعم كفّا، ولا أندىٰ راحة منك يا أمير المؤمنين. قال: فأعظم له الجائزة علىٰ شعره، وأضعف له علىٰ كلامه.

***التنصل والاعتذار:**

-أثر: من لم يقبل من متنصّل (معتذر) عذرا، صادقا كان أو كاذبا، لم يرد عليّ الحوض.

-الاعتراف يهدم الاقتراف.

-قال الشاعر:

إذا ما امرؤ من ذنبه جاء تائبا** إليك فلم تغفر له فلك الذّنب

-قال إبراهيم بن المهدي لمن اعتذر له: إن المعاذير يشوبها الكذب.

-وقال جعفر بن يحيىٰ للمعتذر: قد أغناك الله بالعذر عن الاعتذار، وأغنانا بحسن النية عن سوء الظن.

وقال لآخر: أعتذر إليك بصادق النّيّة.

وقال رجل لبعض الملوك: لا يلتمس رضاك إلا من جهة عفوك، ولا يستعطفك إلا بالإقرار بالذنب، ولا يستميلك إلا بالاعتراف بالزّلّة.

-الحسن بن وهب:

أبا جعفر، ما أحسن العفو كلّه** ولا سيّما عن قائل ليس لي عذر

وقال آخر:

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا** إن برّ عندك فيما قال أو فجرا

فقد أطاعك من أرضاك ظاهره** وقد أجلّك من يعصيك مستترا

-وقالت الحكماء: ليس من العدل سرعة العذل.

-وقال الأحنف بن قيس: ربّ ملوم لا ذنب له.

وقال آخر:

لعلّ له عذرا وأنت تلوم

وقال آخر:

إذا اعتذر الجاني محا العذر ذنبه** وكلّ امرئ لا يقبل العذر مذنب

وقال ابن عبدربه:

عذيري من طول البكا لوعة الأسىٰ** وليس لمن لا يقبل العذر من عذر

-وقالوا: ما اعتذر مذنب إلا ازداد ذنبا.

-وقال محمود الوراق:

إذا كان وجه العذر ليس ببيّن** فإنّ اطّراح العذر خير من العذر

-قال عبد الملك بن مروان للزهري: لقد كان أبوك وعمك نعّاقين في فتنة ابن الأشعث.. فقال له الزهري: مثلك إذا عفا لم يعدّد، وإذا صفح لم يثرّب. فأعجبه ذلك.

-دخل ابن السماك علىٰ الأمير وكان عاتبا عليه فقال: إذا كان ذنبا غفرته، وإن كان باطلا لم تقبله.

-طلب المنصور من جرير بن عبدالله حجة فقال: عفو أمير المؤمنين أحبّ إليّ من براءتي.

-قال ابن الفارسي للمأمون بعد وشاية:

إن الذي بلغك عني تحميل عليّ، ولو كان كذلك لقلت: نعم، كما بلغك. فأخذت بحظّي من الله في الصدق، واتكلت علىٰ فضل أمير المؤمنين في سعة عفوه.

-قيل في متولي صدقات البصرة: كثر الشاكي له والداعي عليه.. فقال: لو أن أحدا ممن ولي الصدقات سلم من الناس لسلم رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلم، قال الله عز وجل: وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْها رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْها إِذا هُمْ يَسْخَطُونَ.

فأعجب المأمون جوابه. واستجزل مقاله، وخلّىٰ سبيله.

-قال كثير:

وسعىٰ إليّ بعيب عزّة معشر** جعل الإله خدودهنّ نعالها

-هجىٰ نهار بن توسعة قتيبة بن مسلم والي خراسان.. فطلبه فهرب، ثم دخل عليه.. فقال: ويحك بأي وجه تلقاني؟

قال: بالوجه الذي ألقىٰ به ربّي، وذنوبي إليه أكثر من ذنوبي إليك. فقرّبه ووصله وأحسن إليه.

***الاستعطاف والاعتراف:**

-سخط المهدي علىٰ ابن داود قال له: يا يعقوب. قال: لبيك.. تلبية مكروب لموجدتك. قال: ألم أرفع من قدرك إذ كنت وضيعا، وأُبْعِد من ذكرك إذ كنت خاملا، وألبسك من نعمتي ما لم أجد لك بها يدين من الشكر؛ فكيف رأيت الله أظهر عليك، وردّ

إليك منك؟ قال: إن كان ذلك بعلمك يا أمير المؤمنين فتصديق معترف منيب، وإن كان مما استخرجته دفائن الباغين فعائد بفضلك.. فقال: لولا الحنث لألبستك منه قميصا لا يشدّ عليه زرّا (الكفن).

-قال سهيل بن مزيد للرشيد:.. الحمد لله الذي سهّل لي سبيل الكرامة بلقائك، وردّ عليّ النعمة بوجه الرضا منك.

-قال ابن المهدي للمأمون: قد جعل الله كلّ ذنب دون عفوك، فإن صفحت فبكرمك، وإن أخذت فبحقّك.. قال المأمون: لو لم يكن في حقّ نسبك ما يبلغ الصفح عن زلّتك، لبلّغك إليه حسن توصلك ولطف تنصّلك.

-قال إسحاق بن العباس للمأمون:.. والله لإجرام قريش إلىٰ رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلم أعظم من جرمي إليك، ولرحمي أمسّ من أرحامهم، وقد قال كما قال يوسف لإخوته: لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

وأنت يا أمير المؤمنين أحقّ وارث لهذه المنة وممتثل بها.

قال: هيهات. تلك إجرام جاهلية عفا عنها الإسلام، وجرمك جرم في إسلامك وفي دار خلافتك.

-قال خالد بن يزيد لما أمر الأمير بقطع رزقه: أبالحرمان يهدّدني؟ يد الله فوق يده باسطة، وعطاء الله دونه مبذول.

-قال عمرو بن عتبة لسليمان بن علي: لفظتني البلاد إليك، ودلني فضلك عليك؛ فإما قبلتني غانما، وإما رددتني سالما.. وكتب سليمان إلىٰ أمير المؤمنين.. إنما حاربنا بني أمية علىٰ عقوقهم ولم نحاربهم علىٰ أرحامهم.. فكان أبو مسلم يسميه: كهف الأبّاق.

-قال الرشيد:.. فبي والله يسهل لكم الوعر، ويصفو لكم الكدر، وألقت إليكم الأمور مقاليد أزمّتها، فالتدارك التدارك قبل حلول داهية، خَبُوط باليد لَبُوط بالرّجل.

-قال عبد الملك بن صالح للرشيد:.. وشددت أواخيَ ملكك بأثقل من ركني يلملم.. فكم ليل تمام فيك كابدته.. قال له الرشيد: وَرِيَتْ بك زنادي.

وقال له الرشيد: أتُبقّون بالرّقّة؟ قال: نعم، ونُبَرْغث!

-إبراهيم بن السّندي قال: سمعت عبد الملك بن صالح يقول بعد إخراج المخلوع له من الحبس، وذكر الرشيد وفعله به، فقال: والله إن المُلْك لشيء ما نويته ولا تمنّيته، ولا نصبت له ولا أردته، ولو أردته لكان إليّ أسرع من الماء إلىٰ الحُدور، ومن النار إلىٰ يبس العرفج؛ وإني لمأخوذ بما لم أجْنِ، ومسؤول عما لم أعرف، ولكن حين رآني للمُلْك قَمِينا، وللخلافة خطيرا، ورأىٰ لي يدا تنالها إذا مدّت، وتبلغها إذا بُسطت، ونفسا تكمل لخصالها، وتستحقها بفعالها- وإن كنت لم أجن تلك الخصال، ولم أصطنع تلك الفعال، ولم أترشّح لها في السر، ولا أشرت إليها في الجهر- ورآها تحنّ إليّ حنين الوالدة الوالهة، وتميل ميل الهَلُوك (الفاجرة)؛ وخاف أن ترغب إلىٰ خير مَرْغَب، وتنزع إلىٰ أخصب مَنْزَع، عاقبني عقاب من سهر في طلبها، وجهد في التماسها، فإن كان إنما حسبني أني أصلح لها وتصلح لي، وأليق بها وتليق بي، فليس ذلك بذنب جنيته فأتوب منه، ولا تطاولت له فأحطّ نفسي عنه؛ وإن زعم أنه لا صرف لعقابه، ولا نجاة من عذابه، إلا أن أخرج له من حدّ العلم والحلم والحزم؛ فكما لا يستطيع المضياع أن يكون مصلحا، كذلك لا يستطيع العاقل أن يكون جاهلا.

وسواء عليه أعاقبني علىٰ علمي وحلمي، أم عاقبني علىٰ نسبي وسني، وسواء عليه عاقبني علىٰ جَمالي أو عاقبني علىٰ محبة الناس لي. ولو أردتها لأعجلته عن التفكير، وشغلته عن التدبير، ولما كان فيها من الخطب إلا اليسير.

-قال سعد بن مسلم: النّعمة نَسَبٌ بين أهلها.

-قال أبو مِجْلَز بعد اتهامه لقتيبة بن مسلم: أبوء بالذنب، وأستغفر الرب وأسأل العافية.

-قال رجل لأحد الملوك وهو يريد عقابه:أسألك.. إلا نظرت في أمري نظر من برئي أحبّ إليه من سقمي، وبراءتي أحبّ إليه من جُرمي.

-قال خالد بن عبد الله لسليمان بن عبد الملك: فإن تعفُ عنّي فأهل ذلك أنت، وإن تعاقبني فأهل ذلك أنا.

-قال الحسن بن نعيم لابن حازم.. لا بأس عليك، قد تقدمت لك طاعة، وحدثت لك توبة.

–قال تميم بن جميل للمعتصم:.. إن الذنوب تُخْرِس الألسنة، وتَصْدع الأفئدة، ولقد عظُمت الجريرة وكبُر الذنب، وساء الظنّ، ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك، وأرجو أن يكون أقربهما منك وأسرعهما إليك أولاهما بامتنانك، وأشبههما بخلائقك. ثم أنشأ يقول:

أرىٰ الموت بين السّيف والنطع كامنا** يلاحظني من حيثما أتلفّت

وأكبر ظنّي أنّك اليوم قاتلي** وأيّ امرئ ممّا قضىٰ الله يفلت

ومن ذا الذي يدلي بعذر وحجة** وسيف المنايا بين عينيه مصلت

يعزّ علىٰ الأوس بن تغلب موقف** يسلّ عليّ السيف فيه وأسكت

وما جزعي من أن أموت وإنّني** لأعلم أنّ الموت شيء موقّت

ولكنّ خلفي صبية قد تركتهم** وأكبادهم من حسرة تتفتّت

كأني أراهم حين أنعىٰ إليهم** وقد خمشوا تلك الوجوه وصوّتوا

فإن عشت عاشوا خافضين بغبطة** أذود الرّدىٰ عنهم وإن متّ موّتوا

فكم قائل لا يَبْعَدُ الله روحه** وآخر جذلان يسرّ ويشمت

قال: فتبسم المعتصم وقال: كاد والله يا تميم أن يسبق السيف العذل، اذهب، فقد غفرت لك الصبوة (الطيش)، وتركتك للصبّية.

–قال جعفر بن محمد للمنصور لما همّ به:.. يا أمير المؤمنين، إنّ سليمان صلّىٰ الله علىٰ محمد وعليه، أُعطي فشكر، وإن أيوب أُبتلي فصبر، وإن يوسف ظُلم فغفر؛ وأنت علىٰ إرث منهم، وأحقّ من تأسّىٰ بهم.. وكان يدعو.. اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكْنُفْني بحفظك الذي لا يرام، ولا أَهْلَك وأنت رجائي.

–حبس الرشيد رجلا، فلما طال حبسه كتب إليه: إن كل يوم يمضي من نعيمك يمضي من بؤسي مثله، والأمد قريب والحكم لله، فأطلقه.

–قال دِهْقان محبوس لوالي خراسان:.. احذر من ليس له ناصر إلا الله، واتق من لا جُنّة له إلا الابتهال إلىٰ الله.

-عتب المأمون علىٰ رجل من خاصته فقال: يا أمير المؤمنين، إن قديم الحرمة، وحديث التّوبة، يمحوان ما بينهما من الإساءة.

-قال ابن صالح للمأمون: يا أمير المؤمنين، محمد بن عبد الملك بن صالح بين يديك، ربيب دولتك، وسليل نعمتك؛ وغصن من أغصان دوحتك؛ أتأذن في الكلام؟ قال: نعم. قال: نستمنح الله حياطة ديننا ودنيانا، ورعاية أدنانا وأقصانا ببقائك؛ ونسأله أن يزيد في عمرك من أعمارنا، وفي أثرك من آثارنا، ويقيك الأذىٰ بأسماعنا وأبصارنا.

-قال النابغة للنعمان:

لئن كنت قد بلّغت عنّي جناية** لمبلغك الواشي أغشّ وأكذب

-وقال عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة للمنصور:.. إن الانتقام عدل، والتجاوز فضل.

-قال أبو دلف للمأمون بعد عتبه عليه:

ليالي تدني منك بالبشر مجلسي** ووجهك من ماء البشاشة يقطر

وقال: يا أمير المؤمنين، شهادة زور، وكذب شاعر، ومَلَقُ مستجْدٍ.

ثم ذكر:

ذريني أجوب الأرض في طلب الغنىٰ** فما الكرخ بالدنيا ولا الناس قاسم

(الكرخ منزله وقاسم اسمه).

-قال المنصور لابن زائدة: بلغني عنك أنك أعطيت شاعرا لبيت قاله ألف دينار. وأنشده البيت، وهو:

معن بن زائدة الذي زيدت به** شرفا علىٰ شرف بنو شيبان

قال: نعم يا أمير المؤمنين، قد أعطيته ألف دينار، ولكن علىٰ قوله:

ما زلت يوم الهاشميّة مُعْلِما** بالسيف دون خليفة الرحمن

- (إسقاط الأمير حد السرقة) أتي عبد الملك بن مروان بأعرابيّ سرق، فأمر بقطع يده، فأنشأ يقول:

يدي يا أمير المؤمنين أعيذها** بعفوك أن تلقىٰ مكانا يشينها

ولا خير في الدنيا وكانت حبيبة** إذا ما شمالي فارقتها يمينها

فأبىٰ إلا قطعه؛ فقالت أمه: يا أمير المؤمنين، واحدي وكاسبي. قال: بئس الكاسب كان لك، وهذا حدّ من حدود الله. قالت: يا أمير المؤمنين، اجعله من بعض ذنوبك التي تستغفر الله منها! فعفا عنه.

-قال والي المدينة لسهل بن العباس الأنصاري: مرحبا وأهلا، أهل الشرف والحق.

-قال سراقة البارقي:

كفرت بوحيكم وجعلت نذرا** عليّ قتالكم حتىٰ الممات

-كان معن بن زائدة قد أمر بقتل جماعة من الأسرىٰ، فقام إليه أصغر القوم فقال له: يا معن، أتقتل الأسرىٰ عطاشا؟ فأمر لهم بالماء؛ فلما سُقُوا قال: يا معن: أتقتل ضيفانك؟ فأمر معن بإطلاقهم.

-قال عمر بعد أسره للهرمزان: إن لفارس حلوما؛ بها استحقّت ما كانت فيه من الملك.

-قال أسير مع ابن الأشعث للحجاج: أصلح الله الأمير، إن لي حرمة. قال: وما هي؟ قال: ذُكِرتَ في عسكر ابن الأشعث فشُتمتَ في أبويك، فعرضتُ دونهما؛ فقلت: لا والله ما في نسبه مطعن، فقولوا فيه ودعوا نسبه.. قال: خَلّيا عن هذا..

-أُتِي روح بن حاتم برجل كان متلصّصا في طريق الرّقاق، فأمر بقتله..

-قال أبو دلف للمأمون:

وارم بي كلّ عدوّ.. فأنا السهم السريع

-قال معاوية لأحد الأسرىٰ: ويحك! لقد سبَبْتَ فأبلغت، ودعوتَ فأحسنت؛ خلّيا عنه.

-قال أحد الأسرىٰ للحجاج: لئن كنا أسأنا في الذنب، فما أحسنت في العفو.

-وذكّره أسير بقول الشاعر:

وما نقتل الأسرىٰ ولكن نفكّهم** إذا أثقل الأعناق حمل القلائد

فقال الحجاج: ويحكم! أعجزتم أن تخبروني بما أخبرني هذا المنافق؟ وأمسك عمن بقي.

-وقال له بعض أسرىٰ الحرورية: لقد كان وزراء أخيك فرعون خيرا من وزرائك.

-دخل رجل من بني مخزوم علىٰ عبد الملك بن مروان، وكان "زبيريا".. (أتباع ابن الزبير).

-دخل يزيد بن أبي مسلم علىٰ سليمان بن عبد الملك؛ فقال له سليمان: علىٰ امرئ أمّرك وجرّأك وسلّطك علىٰ الأمة لعنة الله، أتظن الحجاج استقرّ في قعر جهنم أم هو يهوي فيها؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن الحجاج يأتي يوم القيامة بين أخيك وأبيك، فضعه من النار حيث شئت.

-قال ابن زياد لابن عباد: قد علمت غشّك وخبثك، لئن فارقتني يوما لأضعنّ أكثرك شعرا بالأرض.. (قصد الرأس).

-وكان الشعبي ومطرّف يريان التّقيّة (مع الحكام).

-قال الحجاج لأسرىٰ الجماجم:.. فمن أقرّ منهم بالكفر في خروجهم علينا فيخلىٰ سبيله، ومن زعم أنه مؤمن فيضرب عنقه.. فقال.. الشعبي:.. استحلَسْنا (لزمنا) الخوف، واكتحلنا السهر، وخبطتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء. قال: لله أبوك! لقد صدقت: ما بررتم بخروجكم علينا ولا قويتم، خلّوا سبيل الشيخ. ثم قال للمطرّف: أتقر علىٰ نفسك بالكفر؟ قال: أصلح الله الأمير، إن من شق العصا، وسفك الدماء، ونكث البيعة، وفارق الجماعة، وأخاف المسلمين لجدير بالكفر. فخلّىٰ سبيله.

فقال له الشيخ: أعن نفسي تخادعني يا حجاج؟ والله لو علمت أعظم من الكفر لقلته. فضحك الحجاج وخلّىٰ سبيله.. فقال: يا أمير المؤمنين، إن شريكا مخالف لك وإنه فاطميّ محض. قال المهدي: عليّ به؛ فلما دخل عليه قال له: يا شريك، بلغني أنك فاطميّ. قال له شريك: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تكون غير فاطمي، إلا أن تعني فاطمة بنت كسري.

-قال شريك للمهدي: إن رؤياك يا أمير المؤمنين ليست برؤيا يوسف الصّدّيق صلوات الله علىٰ محمد وعليه، وإن الدماء لا تستحل بالأحلام، وإنّ علامة الزندقة بيّنة. قال: وما هي؟ قال:

شرب الخمر، والرّشا في الحكم، ومهر البغيّ. قال: صدقت والله أبا عبد الله! أنت والله خير من الذي حملني عليك.

-ودخل شريك القاضي علىٰ المهديّ، فقال له الربيع: خنت مال الله ومال أمير المؤمنين. قال: لو كان ذلك لأتاك سهمك.

-دخل جامع المحاربي علىٰ الحجاج- وكان جامع شيخا صالحا خطيبا لبيبا جريئا علىٰ السلطان، وهو الذي قال للحجاج إذ بنىٰ مدينة واسط بنيتها في غير بلدك، وتورثها غير ولدك- فجعل الحجاج يشكو سوء طاعة أهل العراق وقبح مذهبهم. فقال له جامع: أما إنه لو أحبّوك لأطاعوك، علىٰ أنهم ما شنئوك لنسبك، ولا لبلدك، ولا لذات نفسك؛ فدع عنك ما يبعدهم منك إلىٰ ما يقرّبهم إليك، والتمس العافية ممن دونك، تعطها ممن فوقك، وليكن إيقاعك بعد وعيدك، ووعيدك بعد وعدك. قال الحجاج: ما أرىٰ أن أردّ بني اللكيعة (اللئيمة) إلىٰ طاعتي إلا بالسيف. قال: أيها الأمير، إنّ السيف إذا لاقىٰ السيف ذهب الخيار. قال الحجاج:

الخيار يومئذ لله. قال: أجل، ولكنك لا تدري لمن يجعله الله. فغضب وقال: يا هناه (يكنيه)، إنك من محارب. فقال جامع:

وللحرب سمّينا وكنّا محاربا** إذا ما القنا أمسىٰ من الطّعن أحمرا

فقال الحجاج: والله لقد هممت بأن أخلع لسانك فأضرب به وجهك. قال جامع:

إن صدقناك أغضبناك، وإن غششناك أغضبنا الله، فغضب الأمير أهون علينا من غضب الله. قال: أجل، وسكن. وشُغِل الحجاج ببعض الأمر، فانسل جامع، فمرّ بين الصفوف من أهل الشام حتىٰ جاوزها إلىٰ صفوف العراق، فأبصر كبكبة (مجموعة) فيها جماعة من بكر العراق، وقيس العراق. وتميم العراق، وأزد العراق؛ فلما رأوه اشرأبّوا (مدوا أعناقهم) إليه وقالوا له: ما عندك دفع الله عنك؟ قال: ويحكم! عمّوه بالخلع كما يعمكم بالعداوة، ودعوا التعادي ما عاداكم؛ فإذا ظفرتم تراجعتم وتعاديتم. أيها التميمي، هو أعدىٰ لك من الأزديّ، أيها القيسيّ هو أعدىٰ لك من التّغلبيّ، وهل ظفر بمن ناوأه منكم إلا بمن بقي معه منكم.

وهرب جامع من فوره ذلك إلىٰ الشام، واستجار بزفر بن الحارث فأجاره.

-قال الرشيد لمسلم بن الوليد: إيه يا مسلم، أنت القائل:

أَنِسَ الهوىٰ ببني عليّ والحشا** وأراه يطمح عن بني العباس..

فلما أراد قتله قال:

تلمّظ السيف من شوق إلىٰ أنس** فالموت يلحظ والأقدار تنتظر

وقال لمسلم: أنشدني التي تقول فيها «الوحل» فإني رويتها وأنا صغير. فأنشده شعره الذي أوله:

أديرا عليّ الرّاح لا تشربا قبلي** ولا تطلبا من عند قاتلتي ذحلي (ثأري) .

فضحك هارون وقال: ويحك يا مسلم!.. وخلىٰ سبيله.

-قال كسرىٰ لرجل أراد قتله- فلما سمع منه-: دعوه؛ فما دلّه علىٰ هذا الكلام إلا ما جعل له من طول المدة.

-داهية نَآد (شديدة).

-قال ابن جعفر:

لقد عجبت لقوم لا أصول لهم** أثْرَوا وليسوا وإن أثروا بأشباهِ

-قال الكميت في كلمته لهشام: مبتدِئ الحمد ومبتدعه، الذي خص بالحمد نفسه، وأمر به ملائكته، وجعله فاتحة كتابه، ومنتهىٰ شكره، وكلام أهل جنته. فقال له هشام وأيقن أنه الكميت: ويحك! من سنّ لك الغَواية وأهاب بك في العَماية؟

قال: الذي أخرج أبي آدم من الجنة فنسي ولم يجد له عزما.. وأمير المؤمنين كريح رحمة أثارت سحابا متفرّقا، فلفقت بعضه إلىٰ بعض حتىٰ التحم فاستحكم، وهدر رعده، وتلألأ برقه؛ فنزل الأرض فرويت واخضلّت واخضرت وأسقيت، فروي ظمآنها، وامتلأ عطشانها. فكذلك نعدّك أنت يا أمير المؤمنين أضاء الله بك الظلمة الداجية بعد العموس (المظلم) فيها، وحقن بك دماء قوم أشعر خوفك قلوبهم، فهم يبكون لما يعلمون من حزمك وبصيرتك، وقد علموا أنك الحرب وابن الحرب، إذا احمرّت الحدق، وعضّت المغافر بالهام. عزّ بأسك، واستربط جأشك، مسعار هتّاف، وكافّ بصير بالأعداء، مغري الخيل بالنّكراء، مستغن برأيه عن رأي ذوي الألباب، برأي أريب، وحلم مصيب.

-قال الفرزدق:

خرجت ولم تمنن عليك شفاعة** سوىٰ حثّك التّقريب من آل أعوجا

. وقال متمثلا:

من يلق خيرا يحمد الناس أمره** ومن يغو لا يَعْدَم علىٰ الغيّ لائما

-قال ابن خريم للمهدي:.. فلأن تطيعك العرب طاعة محبّة، خير لك من أن تطيعك طاعة خوف.

-قال أبو سفيان في دماء وقعت بين حيين من قريش: يا معشر قريش، هل لكم في الحق أو فيما هو أفضل من الحق؟ قالوا: وهل شيء أفضل من الحق؟ قال: نعم، العفو. فتهادن القوم واصطلحوا.

-قال هزيم بن أبي طحمة ليزيد بن عاتكة بعد ظفره بيزيد بن المهلب: ما ظلم أحد ظلمك، ولا نصر نصرك؛ فهل لك في الثالثة نقُلْها؟ قال: وما هي؟ قال: ولا عفا عفوك.

-وتقول العرب في أمثالها: ملكت فأسْجِحْ. وارحْم تُرْحم. وكما تدين تدان. ومن بر يوما بُرَّ به.

-دخل نافع بن جبير بن مطعم علىٰ الوليد، وعليه كساء غليظ، وخفّان جاسيان (الجاسي = الخشن).

-قال معاوية لابن سعيد:.. وبم أوصىٰ [أبوك] إليك؟ قال: ألّا يفقد إخوانه منه إلا وجهه(شخصه).

-قال ابن مسمع لابن زياد: كثّر الله مثلك في العشيرة. قال: لقد سألت الله شططا.

-قال ابن ظبيان لوالي خراسان: والله ما أحسنتَ فأحمدُك، ولا أسأتَ فألومُك؛ وإنك لأقرب البعداء، وأحبّ البغضاء.. وهو القائل: والله ما ندمت علىٰ شيء قط ندمي علىٰ عبد الملك بن مروان، إذ أتيته برأس مصعب بن الزبير فخرّ لله ساجدا، ألّا أكون قد ضربت عنقه فأكون قد قتلت ملكين من ملوك العرب في يوم واحد.

-ومن أشرف الناس همة عقيل بن عُلَّفة المرّيّ؛ وكان أعرابيا يسكن البادية وكان يُصهِر إليه الخلفاء، وخطب إليه عبد الملك بن مروان ابنته لأحد أولاده فقال له جنّبني هجناء ولدك (أمه أعجمية).

-قال بعض الخلفاء لرجل أموي أخواله مرية: قبح الله شبها غلب عليك من بني مرة.. فغضب عقيل وقال:.. وأنا أقول: قبح الله ألأم الطّرفين.. فقال عمر بن عبد العزيز:

من رأىٰ أعجب من هذا الشيخ الذي أقبل من البادية ليست له حاجة إلا شتمنا ثم انصرف؟.وهو القائل: من يلق أبطال الرجال يُكْلَم.

-ومن أعزّ الناس نفسا وأشرفهم همما: الأنصار: الأوس والخزرج ابنا قيلة، لم يؤدّوا إتاوة قطّ في الجاهلية إلىٰ أحد من الملوك.. وكتبوا إلىٰ تبّع:

إنّا أناس لا ينام بأرضنا** عض الرسول ببظر أمّ المرسل

فغزاهم تبّع أبو كرب، فكانوا يقاتلونه نهارا، ويخرجون إليه القِرىٰ ليلا، فتذمّم من قتالهم ورحل عنهم.

-قال الفرزدق للخليفة: أنا من قوم منهم أوفىٰ العرب، وأسْود العرب، وأجود العرب، وأحلم العرب، وأفرس العرب، وأشعر العرب.

وأنشده:

أتيناك لا من حاجة عرضت لنا** إليك، ولا من قلّة في مجاشع

. وقال الأحوص:

وإذا سألت عن الكرام وجدتني** كالشمس لا تخفىٰ بكلّ مكان

-اجتمعت وفود العرب عند النعمان.. وذكروا أعز العرب.. قال ابن أحيمر: (فلينافرني).. أنا أبو عشرة، وخال عشرة، وعم عشرة.

-قال السعدي في بني صفوان:

ما تطلع الشمس إلّا عند أوّلنا** ولا تغيّب إلّا عند أخرانا

-تتفاخر بأربعة رجال(عظام) من محارمها تضع خمارها عندهم (ذات الخمار هنيدة بنت صعصعة).

-قال دعبل يفتخر بطاهر بن الحسين:

يوفي علىٰ رأس الخلائق مثل ما** توفي الجبال علىٰ رءوس الفدفد (المرتفع)

-قول ابن مسلمة:

ثم ولّت كي تودّعنا** كحلها بالدمع مغسول

-ملك اليمن أهدىٰ جزائر وأمر أن ينحرها أعزّ قرشيّ؛ فقدمتْ وأبو سفيان عروس بهند بنت عتبة، فقالت له: أيها الرجل، لا يشغلنّك النساء عن هذه المكرمة (في رواية الأكرومة) التي لعلها أن تفوتك. فقال لها: يا هذه، دعي زوجك وما يختاره لنفسه! والله ما نحرها غيري إلا نحرته!.

-أرسل ملك الهند إلىٰ عمر بن عبد العزيز: من ملك الأملاك الذي هو ابن ألف ملك، والذي تحته ابنة ألف ملك.

-ملك الهند أرسل هدايا للرشيد منها سيوف.. فدعا هارون بالصّمصامة سيف عمرو بن معد يكرب، فقطعت به السيوف بين يديه سيفا سيفا كما يقطّ الفجل.

-أرسل المأمون لوالي خراسان وصيفا.. وأعطاه سمّ ساعة، ووعده علىٰ ذلك بأموال كثيرة؛ فلما انتهىٰ إلىٰ خراسان وأوصل إلىٰ طاهر الهدية، قبل الهدية وأمر بإنزال الوصيف في دار، وأجرىٰ عليه ما يحتاج إليه من التوسعة في النّزالة (الضيافة).

**** كتاب الياقوتة في العلم والأدب** .. مضىٰ قولنا في مخاطبة الملوك.. وبارع منطقهم.. ونحن قائلون بحمد الله وتوفيقه في العلم والأدب؛ فإنهما القطبان اللذان عليهما مدار الدين والدنيا، وفرق ما بين الإنسان وسائر الحيوان، وما بين الطبيعة الملكية والطبيعة البهيمية؛ وهما مادّة العقل، وسراج البدن، ونور القلب، وعماد الروح..فكل شيء يقوم في العقل ويمثل في الوهم يكون ذكرا، ثم فكرا، ثم إرادة، ثم عملا..والطفل الصغير لو لم تعرّفه أدبا وتلقّنه كتابا؛ كان كأبله البهائم وأضلّ الدّوابّ..إنا نجد عاقلا قليل العلم، فهو يستعمل عقله في قلة علمه؛ فيكون أسدّ رأيا وأنبه فطنة وأحسن موارد ومصادر من الكثير العلم مع قلة العقل. فإن حجتنا عليه ما قد ذكرناه من حمل العلم واستعماله؛ فقليل العلم يستعمله العقل خير من كثيره يحفظه القلب.

-قال المهلب فيمن علم كثيرا ولم يدرك منزلته.. ذلك علم حُمِل وهذا علم اسُتعمل.

-قال سهل بن هارون للمأمون حول أقسام العلم:.. فابدأ بالأهمّ فالأهم، والأوكد فالأوكد، وبالفرض قبل النّفل، يكن ذلك عدلا قصدا ومذهبا جميلا.

-قال بعض الحكماء.. لست أطلب العلم طمعا في غايته.. لكن التماس ما لا يسع جهله.

-وقال آخرون: علم الملوك النسب والخبر، وعلم أصحاب الحروب درس كتب الأيام والسّير، وعلم التجار الكتاب والحساب.

-قال ابن عباس رضي الله عنهما: كفاك من علم الدين، أن تعرف ما لا يسع جهله وكفاك من علم الأدب، أن تروي الشاهد والمثل.

-قال الأصمعي: وصلتُ بالمُلَح، ونلتُ بالغريب.

-وقالوا: من أكثر من النحو حمّقه، ومن أكثر من الشعر بذّله، ومن أكثر من الفقه شرّفه.

-قال داود لسليمان: لُفّ العلم حول عنقك، اكتبه في ألواح قلبك.

-قال المهلب لبنيه: إياكم أن تجلسوا في الأسواق، إلا عند زرّاد أو ورّاق. أراد الزّرّاد للحرب، والورّاق للعلم.

-قال رجل لحفيد ابن عمر وهو جالس في المقبرة وبيده كتاب: لا أوعظ من قبر، ولا أمتع من كتاب.

-قال النسابة البكري لرؤبة بن العجاج.. لعلك من قوم إن سكتّ عنهم لم يسألوني، وإن حدّثتهم لم يفهموني؟.

-قال ابن عباس: ذللتُ طالبا؛ فعززتُ مطلوبا.

-قال بعض الحكماء: اقصد من أصناف العلم، إلىٰ ما هو أشهىٰ لنفسك، وأخف علىٰ قلبك.

-قال كميل أخذ علي بيدي.. فلما أصحر(بلغ الصحراء) تنفّس الصّعداء.. يا كميل.. إن ها هنا علما جما.. لو وُجِدَتْ له حَمَلَة.. غير مأمون عليه يستعمله آلة الدين للدنيا.. ينقدح الشك في قلبه لأول عارض من شبهة.. منهوما باللذة، سلس القياد للشهوة، أو مغرما بالجمع والادخار ليسا من رعاة الدين في شيء.. يموت العلم بموت حامليه.. لا تخلو الأرض من قائم بحجة الله إما ظاهرا مشهورا، أو خائفا مغمورا.. (صفة العلماء).. باشروا روح اليقين؛ فاستلانوا ما استخشن المترفون، وأَنِسُوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان، أرواحها معلقة بالرفيق الأعلىٰ.

-قال الأحنف:.. كلّ عز لم يؤكّد بعلم، فإلىٰ ذلّ ما يصير.

–قيل: لا تمنعوا العلم أهله فتظلموهم، ولا تعطوه غير أهله فتظلموه.

–قيل لبعض العلماء: كيف رأيت العلم؟ قال: إذا اغتممتُ سَلْوتي، وإذا سلوتُ لذتي.

–قال بعضهم:

لا خير في المرء إذا ما غدا** لا طالبا علما ولا عالما

–يقال: العالم والمتعلم شريكان، والباقي همج.

–قال معاذ:.. العلم منار سبيل أهل الجنة، والأنيس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدّث في الخلوة، والدليل علىٰ السراء والضراء، والزّين عند الأخلاء، والسلاح علىٰ الأعداء. يرفع الله به قوما فيجعلهم قادة أئمة، تُقْتفىٰ آثارهم، ويُقْتدىٰ بفعالهم.

والعلم حياة القلب من الجهل، ومصباح الأبصار من الظّلمة، وقوة الأبدان من الضعف؛ يبلغ بالعبد منازل الأخيار، والدرجات العلا في الدنيا والآخرة؛ الفكر فيه يعدل الصيام، ومذاكرته القيام، وبه توصل الأرحام، ويعرف الحلال من الحرام.

–قيل لرقبة بن مصقلة: ما أكثر شكك! قال: محاماة عن اليقين.

–قال شعبة لأيوب السختياني:.. شكّك أحبّ إليّ من يقيني.

. وقال أيوب: إنّ من أصحابي من أرتجي بركة دعائه ولا أقبل حديثه.

. قالوا: الخير كلّه فيما أكرهت النفوس عليه.

–قال مقاتل.. وقد دخلته أبّهة العلم: سلوني عما تحت العرش إلىٰ أسفل من الثرىٰ.. فقال رجل.. أخبرني عن كلب أهل الكهف، ما كان لونه؟ فأفحمه.

. قال قتادة: ما سمعت شيئا قط ولا حفظت شيئا قطّ فنسيته. ثم قال: يا غلام، هات نعلي. فقال: هما في رجليك. ففضحه الله.

–أنشد أبو عمرو بن العلاء:

من تحلّىٰ بغير ما هو فيه** فضحته شواهد الامتحان

-قال قتادة: حفظت ما لم يحفظ أحد، وأنسيت ما لم ينس أحد: حفظت القرآن في سبعة أشهر، وقبضت علىٰ لحيتي وأنا أريد قطع ما تحت يدي فقطعت ما فوقها.

-مر الشعبيّ بالسّدّي وهو يفسّر القرآن، فقال: لو كان هذا الساعةَ نشوان يضرب علىٰ استه بالطبل، أما كان أحسن له؟.

-وقيل للشعبي: أفتني أيّها العالم! فقال: إنما العالم من اتقىٰ الله.

-قال ابن المبارك في مالك:

هديُ الوقار وعزّ سلطان التّقىٰ** فهو المهيب وليس ذا سلطان

. وقال فيه أيضا:

صَمُوتٌ إذا ما الصمت زيّن أهله** وفتّاق أبكار الكلام المختّم

وعىٰ ما وعىٰ القرآن من كلّ حكمة** وسيطت له الآداب باللحم والدم

-وقالوا: لا تناظر جاهلا ولا لجوجا: فإنه يجعل المناظرة ذريعة إلىٰ التعلّم بغير شكر.

-وفي الأثر: «ارحموا عزيزا ذلّ، ارحموا غنيا افتقر، ارحموا عالما ضاع بين جهّال».

-قالوا: خدمة العالم عبادة.

-قال علي في العالم:.. فإنما هو بمنزلة النخلة المُرْطِبة التي لا يزال يسقط عليك منها شيء.

. وقالوا: إذا جلست إلىٰ العالم فسل تفقّهًا، ولا تسل تعنتًا (مماحكة).

-كان ابن سيرين إذا سئل عن مسألة فيها أغلوطة قال للسائل: أمسكها حتىٰ تسأل عنها أخاك إبليس.

-سأل عمرو بن قيس مالك بن أنس عن محرم نزع نابي ثعلب، فلم يردّ عليه شيئا.

-سأل رجل عمر بن قيس عن الحصاة يجدها الإنسان في ثوبه أو في خفه أو في جبهته من حصىٰ المسجد، فقال: ارم بها. قال الرجل: زعموا أنها تصيح حتىٰ تردّ إلىٰ

المسجد. فقال: دعها تصيح حتىٰ ينشقّ حلقها. فقال الرجل: سبحان الله! ولها حلق؟ قال: فمن أين تصيح.

-قال مالك لسائل:.. من الله العلم، وعلىٰ الرسول البلاغ، ومنا التسليم. أمِرّوا الحديث.

-قيل لابن عباس رضي الله عنهما: ما تقول في رجل طلّق امرأته عدد نجوم السماء؟ قال: يكفيه منها كوكب الجوزاء.

-سئل عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه: أين كان ربنا قبل أن يخلق السماء والأرض؟ فقال: أين توجب المكان، وكان الله عز وجل ولا مكان.

❋التصحيف:

-ذكر الأصمعي رجلا بالتصحيف، فقال: كان يسمع فيعي غير ما يسمع، ويكتب غير ما وعىٰ، ويقرأ في الكتاب غير ما هو فيه.

وذكر آخر رجلا بالتصحيف فقال: كان إذا نسخ الكتاب مرتين عاد سريانيّا.

-في الأثر: «إذا أعطي الناس العلم ومنعوا العمل وتحابّوا بالألسن، وتباغضوا بالقلوب، وتقاطعوا في الأرحام- لعنهم الله فأصمّهم وأعمىٰ أبصارهم».

-قال الفضيل بن عياض: كان العلماء ربيع الناس، إذا رآهم المريض لم يسرّه أن يكون صحيحا، وإذا نظر إليهم الفقير لم يودّ أن يكون غنيا؛ وقد صاروا اليوم فتنة للناس.

-قال عيسىٰ بن مريم عليه السلام: سيكون في آخر الزمان علماء يزهّدون في الدنيا ولا يزهدون، ويرغّبون في الآخرة ولا يرغبون؛ ينهون عن إتيان الولاة ولا ينتهون، يقرّبون الأغنياء، ويبعدون الفقراء، ويتبّسطون للكبراء، وينقبضون عن الفقراء:

أولئك إخوان الشياطين وأعداء الرحمن.

-قال ابن شُبْرُمة: ذهب العلم إلا غبّرات (بقايا) في أكسية سوء.

-تكلم مالك بن دينار فأبكىٰ أصحابه، ثم افتقد مصحفه، فنظر إلىٰ أصحابه وكلهم يبكي، فقال: ويحكم! كلكم يبكي. فمن أخذ المصحف؟.

-سئل ابن عباس عن أبي بكر فقال: كان والله خيرا كله، مع الحدّة التي كانت فيه.. قالوا: فأخبرنا عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه. قال: كان والله ممن حوىٰ علما وحلما، حسبك من رجل أعزّته سابقتُه، وقدّمته قرابته من رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلم،

-سئل الحسن البصري عن علي فقال: كان علي بن أبي طالب سهما صائبا من مرامي الله علىٰ عدوّه، وربّاني هذه الأمة، وذا سابقتها، وذا فضلها، وذا قرابة قريبة من رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلم، لم يكن بالنّؤومة عن أمر الله، ولا بالملولة في حق الله، ولا بالسّروفة لمال الله؛ أعطىٰ القرآن عزائمه؛ ففاز منه برياض مونقة، وأعلام بيّنة.

-دخل عروة بستان الخليفة وقال: ما أحسن هذا البستان! فقال له عبد الملك: أنت والله أحسن منه؛ إن هذا يؤتي أُكُلَه كلّ عام، وأنت تؤتي أُكُلَك كلّ يوم.

-ذكر الصحابة عند الحسن البصري، فقال: رحمهم الله، شهدوا وغبنا، وعلموا وجهلنا؛ فما اجتمعوا عليه اتبعنا، وما اختلفوا فيه وقفنا.

-قال ابن مهدي: ما رأيت أحدا أقشف من شعبة، ولا أعبد من سفيان، ولا أحفظ من ابن المبارك.

-قيل لأهل مكة: كيف كان عطاء بن أبي رباح فيكم؟ فقالوا: كان مثل العافية التي لا يعرف فضلها حتىٰ تفقد.

-وكان الأحنف بن قيس: أعور أعرج، ولكنه إذا تكلم جلا عن نفسه.

-قال الشعبي: لولا أني زوحمت في الرّحم ما قامت لأحد معي قائمة. وكان توأما.

-كان عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود فقيها شاعرا، وكان أحد السبعة من فقهاء المدينة.. قال الزهري: كنت إذا لقيت عبيد الله بن عبد الله، فكأنما أفْجُرُ به بحرا.

-قال عمر بن عبد العزيز: وددتُ لو أن لي مجلسا من عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود لم يفتني.. ولقيه سعيد بن المسيّب فقال له: أنت الفقيه الشاعر؟ قال: لا بد للمصدور أن ينفث.

-قال ابن المبارك: علمني سفيان الثوريّ اختصار الحديث.

-كان حيوة بن شريح يقعد للناس، فتقول له أمه: قم يا حيوة ألق الشعير للدجاج.

فيقوم.

-أمر الحجاج أن لا يؤمّ بالكوفة إلا عربيّ وكان يحيىٰ بن وثّاب يؤمّ قومه بني أسد، وهو مولىٰ لهم؛ فقالوا: اعتزل. فقال: ليس عن مثلي نهىٰ، أنا لاحق بالعرب. فأبوا؛ فأتىٰ الحجاج فقرأ، فقال: من هذا؟ فقالوا يحيىٰ بن وثاب. قال: ماله؟ قالوا: أمرت أن لا يؤمّ إلا عربيّ، فنحّاه قومه. فقال:

ليس عن مثل هذا نهيت، يصلي بهم. قال: فصلّىٰ بهم الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء. ثم قال: اطلبوا إماما غيري: إنما أردت أن لا تستذلّوني، فأمّا إذ صار الأمر إليّ فأنا أؤمكم؟ لا ولا كرامة.

-كان يحيىٰ بن اليمان يصلي بقومه.. فقالوا: لا تصلّ بنا! لا نرضاك، إن تقدّمت نحّيناك! فجاء بالسيف فسل منه أربع أصابع ثم وضع في المحراب، وقال: لا يدنو مني أحد إلا ملأت السيف منه. فقالوا: بيننا وبينك شريك. فقدّموه إلىٰ شريك فقالوا: إن هذا كان يصلي بنا وكرهناه. فقال لهم شريك: من هو؟ فقالوا: يحيىٰ بن اليمان. فقال: يا أعداء الله! وهل بالكوفة أحد يشبه يحيىٰ! لا يصلّي بكم غيره. فلما حضرته الوفاة قال لابنه داود: يا بنيّ كاد ديني يذهب مع هؤلاء، فإن اضطرّوا إليك بعدي فلا تصلّ بهم.

. قال يحيىٰ بن اليمان: تزوجتُ أمَّ داود، وما كان عندي ليلة العرس إلا بطّيخة، أكلت أنا نصفها وهي نصفها، وولدت داود، فما كان عندنا شيء تلفه فيه، فاشتريت له كساء.. فلففناه فيه.

-قال الحسن بن محمد: كان لعليّ ضفيرتان، ولابن مسعود ضفيرتان.

-ذكر عبد الملك بن مروان روحا فقال: ما أُعطي أحد ما أُعطي أبو زرعة:

أعطي فقه الحجاز. ودهاء أهل العراق، وطاعة أهل الشام.

-روي أن مالك بن أنس كان يذكر عليا وعثمان وطلحة والزبير، فيقول: والله ما اقتتلوا إلا علىٰ الثريد الأعفر (الممتلئ بالإدام).

-قال الحسن البصري في التحكيم.. ولم تُحَكّم والحق معك! ألا تمضي قدما لا أبالك؟.

هذه الكلمة وإن كان فيها جفاء فإن بعض العرب يأتي بها علىٰ معنىٰ المدح فيقول: انظر في أمر رعيتك لا أبالك!.

-قال ابن أبي الحواريّ: قلت لسفيان: بلغني في قول الله عز وجل: إِلَّا مَنْ أَتَىٰ اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ. أنه الذي يلقىٰ الله وليس في قلبه أحد غيره.

-قال محمد بن واسع لمالك بن دينار لما قال: إنه ليعجبني أن تكون للإنسان معيشة..: ما هو إلا كما تقول، ليس يعجبني أن يصبح الرجل وليس له غداء، ويمسىٰ وليس له عشاء، وهو مع ذلك راض عن الله عز وجل.

-قال سفيان لفتىٰ يجالسه: إنّ من كان قبلنا مرّوا علىٰ خيل عتاق وبقينا علىٰ حمير دَبْرة. فقال: إن كنا علىٰ الطريق فما أسرع لحوقنا بالقوم.

-قال الأصمعي: وحدّثني سلام بن أبي مطيع قال: أيوب أفقههم، وسليمان التيمي أعبدهم، ويونس أشدّهم زهدا عند الدراهم، وابن عون أضبطهم لنفسه في الكلام.

-قال الأعمش للنخعي: وما عليك أن يسلَموا ونسلَم.

-النخعي سمع فتوىٰ لابن جبير فقال: قل له ينقع استه في الماء البارد.. فرد عليه النخعي: إن مررت بوادي النّوكي فاحلُل به.

-قالوا:

أيّها الطالب علما** ايت حمّاد بن زيد

فاقتبس حلما وعلما** ثم قيّده بقيد

-قال أبو نواس: أما الأصمعي فبلبل في قفص يطربهم بصفيره. (هل صوت صفير البلبل له؟).

-قال المنصور.. ابن إسحاق فأعلم الناس بالسيرة، وأما ابن دأب، فإذا أخرجته عن داحس والغبراء، لم يحسن شيئا.

-قال المأمون رحمه الله تعالىٰ: من أراد لهوا بلا حرج، فليسمع كلام الحسن الطالبي.

-سئل العتّابي عن الحسن الطالبي، فقال: إن جليسه لطِيبِ عشرته، لأطرب من الإبل علىٰ الحداء، ومن الثّمل علىٰ الغناء.

-قال رجل لإبراهيم النّخعي: إني أختم القرآن كل ثلاث. قال: ليتك تختمه كل ثلاثين، وتدري أيّ شيء تقرأ.

-قال ابن مسعود: الحواميم ديباج القرآن.. إذا رتعتُ رتعتُ في رياض دمثات أتأنق فيهن.

-وفي الأثر: إن الزبانية لأسرع إلىٰ فسّاق حملة القرآن منهم إلىٰ عبدة الأوثان، فيشكون إلىٰ ربهم فيقول: ليس من عَلِم كمن لا يعلم.

-قال الحسن: حملة القرآن ثلاثة نفر: رجل اتخذه بضاعة ينقله من مصر إلىٰ مصر يطلب به ما عند الناس، ورجل حفظ حروفه وضيّع حدوده، واستدرّ به الولاة، واستطال به علىٰ أهل بلده، وقد كثُر هذا الضرب في حملة القرآن لا كثّرهم الله عز وجل، ورجل قرأ القرآن فوضع دواءه علىٰ داء قلبه، فسهر ليلته، وهملت عيناه، تسربل الخشوع، وارتدىٰ الوقار، واستشعر الحزن، ووالله لهذا الضرب من حملة القرآن أقلّ من الكبريت الأحمر، بهم يسقي الله الغيث، وينزل النّصر، ويدفع البلاء.

-قال سحبان وائل: العقل بالتجارب؛ لأن عقل الغريزة سلّم إلىٰ عقل التجربة.

-قال علي: علىٰ العاقل أن يكون عالما بأهل زمانه، مالكا للسانه، مقبلا علىٰ شانه.

-قالوا:

وما المرء إلّا الأصغران: لسانه** ومعقوله، والجسم خلق مصوّر

فإن تر منه ما يروق فربّما** أُمِرَّ مذاقُ العود والعود أخضر

-قال علي رضي الله عنه: العقل في الدّماغ، والضّحك في الكبد، والرأفة في الطّحال، والصوت في الرئة.

-سئل المغيرة بن شعبة عن عمر بن الخطّاب رضوان الله عليه، فقال: كان والله أفضل من أن يَخدع، وأعقل من أن يُخدع.

-قال زياد: ليس العاقل الذي إذا وقع في الأمر احتال له، ولكن العاقل يحتال للأمر حتىٰ لا يقع فيه.

-قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من لم ينفعه ظنّه، لم ينفعه يقينه.

-وقالوا: العاقل فطِن متغافل.

-قال معاوية: العقل مكيال، ثلثه فطنة، وثلثاه تغافل.

-قال عمر للمغيرة عندما عزله: كرهت أن أحمل علىٰ العامة فضل عقلك.

-قال معاوية لعمرو بن العاص: ما بلغ من عقلك؟ قال: ما دخلت في شيء قطّ إلا خرجت منه. فقال معاوية: لكني ما دخلت في شيء قط وأردت الخروج منه.

-كان الحسن بن سهل الوزير يتمثل بقولهم:

وما بقيت من اللّذّات إلا** محادثة الرّجال ذوي العقول

وقد كانوا إذا ذكروا قليلا** فقد صاروا أقلّ من القليل

-قال الوراق:

وكم من قليل المال يحمد فضله** وآخر ذو مال وليس له فضل

-قال ابن مناذر:

لا تعِدْ شرّا وعُدْ خيرا ولا** تخلف الوعد وعجّل ما تعِد

لا تقل شعرا ولا تَهْمُم به** وإذا ما قلت شعرا فأجد

-وقال آخر:

فإنْ إمامٌ سأل عن فاضل** فادلل علىٰ العاقل لا أمّ لك

-أُعجب كسرىٰ بكلام هوذة الحنفي فقال له: ما غذاؤك في بلدك؟ قال: الخبز. فقال كسرىٰ لجلسائه: هذا عقل الخبز.

-وفي بعض الحديث: إن الله عز وجل لما خلق العقل قال: أقبل! فأقبل، ثم قال له:

أدبر! فأدبّر. فقال: وعزتي وجلالي، ما خلقت خلقا أحبّ إليّ منك، ولا وضعتك إلا في أحبّ الخلق إليّ. ولما خلق الحمق قال له: أقبل. فأدبر. ثم قال له: أدبر.

فأقبل. فقال: وعزتي وجلالي، ما خلقت خلقا أبغض إليّ منك، ولا وضعتك إلا في أبغض الخلق إليّ. (لا يصح).

-قال الحسن البصري: لو كان للناس كلّهم عقول خربت الدنيا.

-قال الأحنف بن قيس: أنا للعاقل المدبر، أرجىٰ مني للأحمق المقبل.

–قال جبريل لآدم بعد هبوطه اختر خصلة من ثلاث: الحياء والدين والعقل. قال آدم: اللهم إني اخترت العقل. فقال جبريل عليه السلام للحياء والدين: ارتفعا؛ قالا: لن نرتفع.

قال جبريل عليه السلام: أعصيتما؟ قالا: لا، ولكنا أمرنا ألّا نفارق العقل حيث كان.

–كان يقال: العقل ضربان: عقل الطبيعة وعقل التجربة، وكلاهما يُحتاج إليه، ويُؤدي إلىٰ المنفعة.

–مكتوب في الحكمة: إنّ العاقل لا يغترّ بمودّة الكذوب، ولا يثق بنصيحته.

–قيل: العاقل دائم المودّة، والأحمق سريع القطيعة.

–قال عمر: العاقل من عرف خير الشّرّين... ليس العاقل من عرف الخير من الشر، بل العاقل من عرف خير الخيرين وشر الشرين.

–قيل في العاقل غير محمود الكرم: احترس من شين أخلاقه وانتفع بعقله.

–بزرجمهر: العاقل لا يرجو ما يعنّف برجائه، ولا يسأل ما يخاف منعه، ولا يمتهن ما لا يستعين بالقدرة عليه.

–وسئل أعرابي: أيّ الأشياء أدل علىٰ عقل العاقل؟ قال: حسن التدبير.

–قال بزرجمهر: أفره ما يكون من الدواب لا غنىٰ بها عن السوط (أفره = أنشط).

– وفي الأثر: العاقل.. إذا رأىٰ باب برّ انتهزه، وإذا عرضت له فتنة اعتصم بالله وتنكّبها.

–قال مسلمة بن عبد الملك: ما قرأت كتابا قط لأحد إلا عرفت عقله منه.

–جثامة بن قيس يصف عاقلا:

بصير بأعقاب الأمور كأنّما* تخاطبه من كلّ أمر عواقبه

–قال عبد الله بن الحسين لابنه.. إيّاك ومعاداة الرجال، فإنك لا تعدمنّ منها مكر حليم عاقل، أو معاندة جاهل.

-قال بعض الحكماء: لا ينتفع بالأدب من لا عقل له، كما لا ينتفع بالرياضة إلا النجيب.

-قال زياد: أيها الناس، لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا، أن تنتفعوا بأحسن ما تسمعون منا.

-قيل لقُسّ بن ساعدة: ما أفضل المعرفة؟ قال: معرفة الرجل نفسه.

-قال عمرو العدواني لحممة الدوسي: أين تحبّ أن تكون أياديك؟ قال: عند ذي الرِّثيّة العديم(الضعف)، وعند ذي الخلّة الكريم، والمعسر الغريم، والمستضعف الهضيم. قال: من أحقّ الناس بالمقت؟ قال: الفقير المختال، والضعيف الصّوّال، والعيّي القوّال. قال: فمن أحقّ الناس بالمنع؟ قال: الحريص الكاند، والمستميد الحاسد(المستعطي)، والملحف الواجد.

قال: من أجدر الناس بالصنيعة؟ قال: من إذا أُعطي شكر، وإذا مُنع عذر، وإذا مُطل صبر، وإذا قدُم العهد ذكر. قال: من أكرم الناس عشرة؟ قال: من إذا قرُب منح، وإذا بعُد مدح وإذا ظُلم صفح، وإذا ضُويق سمح. قال: من ألأم الناس؟

قال: من إذا سأل خضع، وإذا سُئل منع، وإذا ملَك كنع (تقبّض وبخل)، ظاهرُه جشع، وباطنُه طبع. قال: فمن أحلم الناس؟ قال: من عفا إذا قدر، وأجمل إذا انتصر، ولم تطغه عزة الظّفر: قال: فمن أحزم الناس؟ قال: من أخذ رقاب الأمور بيديه، وجعل العواقب نصب عينيه، ونبذ التهيّب دَبْرَ أذنيه. قال: فمن أخرق الناس؟ قال: من ركب الخطار، واعتسف العثار (ركب الأمر دون معرفة)، وأسرع في البدار قبل الاقتدار. قال: من أجود الناس؟ قال: من بذل الموجود، ولم يأس علىٰ المعهود. قال: من أبلغ الناس؟

قال: من جلّىٰ المعنىٰ المزيز (الأفضل) باللفظ الوجيز، وطبّق المفصل قبل التحريز (أصاب المفاصل دون تجاوز). قال: من أنعم الناس عيشا؟ قال: من تحلّىٰ بالعفاف، ورضي بالكفاف، وتجاوز ما يخاف إلىٰ ما لا يخاف. قال: فمن أشقىٰ الناس؟ قال: من حسد علىٰ النّعم، وسخط علىٰ القِسَم، واستشعر النّدم، علىٰ فوت ما لم يحتم. قال: من أغنىٰ الناس، قال: من استشعر اليأس، وأظهر التجمّل للناس، واستكثر قليل النعم، ولم يسخط علىٰ القِسَم.

قال: فمن أحكم الناس؟ قال: من صمت فادّكر، ونظر فاعتبر، ووعظ فازدجر.

قال: من أجهل الناس؟ قال: من رأىٰ الخُرْق مغنما، والتجاوز مغرما.

-قال عمرو بن العاص: ثلاث لا أناة فيهن: المبادرة بالعمل الصالح، ودفن الميت، وتزويج الكفء.

-قالوا: من طلب الدين بالفلسفة، لم يسلم من الزندقة.

قالوا: لا تثق بمال وإن كثر.

-قال الرياحي:.. فإني أخذت من الثعلب روغانه، ومن القرد حكايته.

-كتب بزرجمهر علىٰ منطقته(الحزام):.. إذا كان الغدر في الناس طباعا، فالثقة بالناس عجز، وإذا كان القدر حقّا فالحرص باطل، وإذا كان الموت راصدا فالطمأنينة حمق.

-قال أبو عمرو بن العلاء: خذ الخير من أهله، ودع الشر لأهله.

-قال عمر.. لا تلبثوا بدار مَعْجزة.

-قالوا: إذا قدُمت المصيبة تُركت التّعزية، وإذا قدُم الإخاء سمُج الثناء.

-في كتاب الهند: ينبغي للعاقل أن يدع التماس ما لا سبيل إليه.

-قالوا: إحسان المسيء أن يكفّ عنك أذاه.

-قال أردشير: إنّ للآذان مجّة وللقلوب مللا؛ ففرّقوا بين الحكمتين يكن ذلك استجماما.

-قال الحسن البصري: اقدعوا (امنعوا) هذه النفوس فإنها طُلَعة (متطلعة للأشياء)، وحادثوها بالذّكر فإنها سريعة الدّثور (الصدأ)؛ فإنكم إلا تقدعوها تنزع بكم إلىٰ شر غاية.

-قيل لعمرو بن عبيد: ما البلاغة؟ قال: ما بلّغك الجنّة وعدل بك عن النار. قال السائل: ليس هذا أريد. قال: فما بصّرك مواضع رشدك، وعواقب غيّك.

-قال معاوية لصُحَار العبديّ: ما البلاغة؟ قال: أن تجيب فلا تبطئ، وتصيب فلا تخطئ.

-قال خالد بن صفوان لرجل متكلم: اعلم رحمك الله أن البلاغة ليست بخفة اللسان وكثرة الهذيان، ولكنها بإصابة المعنىٰ والقصد إلىٰ الحجة. فقال له:

أبا صفوان، ما من ذنب أعظم من اتفاق الصّنعة.

-تكلم ربيعة الرأي يوما فأكثر، وإلىٰ جنبه أعرابيّ، فالتفت إليه فقال: ما تعدّون البلاغة يا أعرابيّ؟ قال: قلة الكلام وإيجاز الصواب. قال: فما تعدّون العيّ؟ قال: ما كنت فيه منذ اليوم، فكأنما ألقمه حجرا.

-قيل لأعرابيّ: من أبلغ الناس؟ قال: أسهلهم لفظا، وأحسنهم بديهة.

-قالوا: رسول الرجل مكان رأيه، وكتابه مكان عقله.

-قال الآخر: سل الأرض: من غرس أشجارك، وشقّ أنهارك، وجنىٰ ثمارك؟

فإن لم تجبك إخبارا أجابتك اعتبارا.

-قال الشاعر:

لقد جئت أبغي مجيرا** فجئتُ الجبال وجئتُ البحورا

فقال لي البحر إذ جئته** فكيف يجير ضرير ضريرا

-وقال آخر: نطقت عينه بما في الضمير.

-قال العتابي في معنىٰ الاستعانة لغير الفصيح.. يتساعل من غير سعلة أو ينبهر (يتعب) في كلامه.

-قال الشاعر:

مليء ببهر والتفات وسعلة** ومسحة عثنون وفتل الأصابع

-قال أبرويز لكاتبه.. اجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول.. يريد الكلام الذي تقل حروفه، وتكثر معانيه.

-قال ربيعة الرأي: إني لأسمع الحديث عَطَلًا فأشنّفه (أزينه) وأقرّطه فيحسن، وما زدت فيه شيئا، ولا غيّرت له معنىٰ.

-قال يحيىٰ بن خالد: الكلام ذو فنون، وخيره ما وفق له القائل، وانتفع به السامع.

-وللحسن بن جعفر:

عجبت لإدلال العييّ بنفسه** وصمت الذي قد كان بالحق أعلما

وفي الصمت ستر العييّ وإنّما** صحيفة لبّ المرء أن يتكلما

-وصف أعرابي بليغا فقال: كأن الألسن ريضت (من الترويض) فما تنعقد إلا علىٰ ودّه، ولا تنطق إلا ببيانه.

-وصف أبو الوجيه بليغا فقال: يشول بلسانه شولان البَرُوق (ذنب الناقة)، ويتخلل به تخلل الحيّة.

- (النبذ لما في اليد، واللفظ لما في الفم، والنفث لما في الصدر).

-قيل لابن السمال كيف تركت الناس؟ قال: تركتهم بين مظلوم لا ينتصف، وظالم لا ينتهي.

-قال حسان في ابن عباس:

إذا قال لم يترك مقالا لقائل** بملتقطات لا ترىٰ بينها فصلا

كفىٰ وشفىٰ ما في النفوس فلم يدع** لذي إربة في القول جدّا ولا هزلا

-قالوا للحسين: القلوب معك، والسيوف عليك، والنصر في السماء.

-سئل أعرابي عن المسافة بين موضعين فقال: بياض يوم وسواد ليلة.

-قيل لخالد بن يزيد.. فما آنَسُ شيء؟

قال: الصاحب المواتي.

-مرّ عمرو بن عبيد بسارق يُقطع، فقال: سارق السريرة (الخفاء) قطع سارق العلانية.

-وقيل للخليل بن أحمد: مالك تروي الشعر ولا تقوله؟ قال: لأني كالمسنّ: أشحذ ولا أقطع.

-مرّ أعرابيّ برجل صلبه السلطان، فقال: من طلّق الدنيا فالآخرة صاحبته، ومن فارق الحقّ فالجذع راحلته.

-قال النعمان للعبادي ما تقول الشجرة. قال:

ثم أضحوا عصف الدهر بهم** وكذاك الدهر حال بعد حال

-قال ابن الأعرابي للفضل بن يحيىٰ: ما الإيجاز عندك؟ قال: حذف الفضول، وتقريب البعيد.

-قال رجل لخالد بن صفوان: إنك لتكثر. قال: أكثر لضربين: أحدهما فيما لا تغني فيه القلة، والآخر لتمرّس اللسان، فإن حَبْسه يورث العُقْلة (العي).

-كان خالد بن صفوان يقول: لا تكون بليغا حتىٰ تكلّم أمتك السوداء في الليلة الظلماء في الحاجة المهمّة بما تكلم به في نادي قومك.. إنما اللسان عضو إذا مرّنته مرَن، وإذا تركته لَكِن (ثقُل) كاليد التي تخشنها بالممارسة، والبدن الذي تقويه برفع الحجر وما أشبهه، والرِّجل إذا عُوّدت المشي مشَت.

-تكلم صعصعة بن صوحان عند معاوية فعرق، فقال له معاوية: بهرك القول؟

قال: الجياد نضّاحة بالعرق.

-مدح طائي كلام رجل فقال: هذا الكلام يُكتفىٰ بأولاه، ويُشتفىٰ بأخراه.

-وصف أعرابيّ رجلا فقال: إنّ رفدك لنجيح (بلغ الغاية)، وإنّ خيرك لصريح، وإنّ منعك لمريح.

-وقع جعفر البرمكي إلىٰ كتّابه: إن استطعتم أن تكون كتبكم توقيعات فافعلوا.

-وقّع جعفر علىٰ رقعة.. لن تغلب سيئة حسنتين.

-قال الفضل بن يحيىٰ لأبيه: مالنا نسدي إلىٰ الناس المعروف، فلا نرىٰ من السرور في وجوههم عند انصرافهم ببّرنا، ما نراه في وجوههم عند انصرافهم ببر غيرنا؟

فقال له يحيىٰ: إن آمال الناس فينا أطول منها في غيرنا، وإنما يسرّ الإنسان بما بلّغه أمله.

قيل ليحيىٰ: ما الكرم؟ قال ملك في زي مسكين؛ قيل: فما الفرعنة؟ قال:

مسكين في بطش عفريت. قيل: فما الجود؟ قال: عفو بعد قدرة.

-أُتي المأمون برجل قد وجب عليه الحدّ، فقال وهو يُضرب: قتلتني يا أمير المؤمنين؛ قال الحقّ قتلك: قال: ارحمني. قال: لست أرحم بك ممن أوجب عليك الحد.

-قال عبد بني الحسحاس:

إن كنت عبدا فنفسي حرّة كرما** أو أسود الجلد إني أبيض الخلق

-قال عمرو بن عبيد: ارفع علم الحقّ يتبعك أهله.

-قال أبو داود الإيادي: رأس الخطابة الطّبع، وعمودها الدُّرْبة، وجناحاها رواية الكلام، وحَلْيها الإعراب، وبهاؤها تخيّر اللفظ، والمحبة مقرونة بعلّة الاستكراه.

-قالت جارية ابن السماك لما سألها عن كلامه: ما أحسنه لولا أنك تكثر ترداده! قال: أردّده حتىٰ يفهمه من لم يفهمه. قالت: إلىٰ أن يفهمه من لم يفهمه يكون قد ملّه من فهمه.

-في الأثر: ما تجرّع عبد في الدنيا جرعة أحبّ إلىٰ الله من جرعة غيظ ردّها بحلم، أو جرعة مصيبة ردّها بصبر.

-أنشد الأحنف:

لا يفطنون لعيب جارهم** وهم لحفظ جواره فُطُن

-وفي الأثر: أقرب ما يكون المرء من غضب الله إذا غضب.

-قال معاوية: إني لأستحي من ربي أن يكون ذنب أعظم من عفوي، أو جهل أكبر من حلمي، أو عورة لا أواريها بستري.

-قال مؤرق العجلي: ما تكلمت في الغضب بكلمة ندمت عليها في الرضا.

-قال علي: حلمك علىٰ السفيه يكثّر أنصارك عليه.

-قال الأحنف: من لم يصبر علىٰ كلمة سمع كلمات.

وقال: رب غيظ تجرعته مخافة ما هو أشدّ منه. وأنشد:

رضيت ببعض الذّلّ خوف جميعه** كذلك بعض الشّرّ أهون من بعض

. وقال الشاعر:

لن يدرك المجد أقوام وإن كرموا** حتىٰ يذلوا وإن عزّوا لأقوام

ويُشْتموا فترىٰ الألوان كاسفة** لا ذلّ عجز ولكن ذلّ أحلام

-وأنشد الأحنف:

لا بد للّسؤدد من رماح** ومن رجال مصلتي السّلاح

يدافعون دونه بالرّاح** ومن سفيه دائم النّباح

-قال أعرابي كان سنان بن خارجة أحلم من فرخ الطائر (صبره في البيضة).

-قال حكيم: ما حلا عندي أفضل من غيظ أتجرّعه.

-يقال في وصف المؤمن.. من إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق.

-قال الأحنف:

ولربما ضحك الحليم من الأذىٰ** وفؤاده من حرّه يتأوّه

ولربما شكل الحليم لسانه** حذر الجواب وإنّه لمفوّه

-قالوا: إياك وعزة الغضب، فإنها تصيّرك إلىٰ ذلّ الاعتذار.

-قال الأصرم وقيل لعلي:

أصمّ عن الكلم المحفظات** وأحلم والحلم بي أشبه

فكم من فتىٰ يعجب الناظرين** له ألسن وله أوجه

ينام إذا حضر المكرمات** وعند الدناءة يستنبه

-قال الحسن بن رجاء:

أحبّ مكارم الأخلاق جهدي** وأكره أن أجيب وأن أُجابا

وأصفح عن سباب الناس حلما** وشرّ الناس من يهوىٰ السّبابا

ومن هاب الرجال تهيّبوه** ومن حقر الرجال فلن يهابا

ومن قضت الرجال له حقوقا** ولم يقض الحقوق فما أصابا

-قال محمد بن علي:.. من أصلح ماله استغنىٰ (استثمار).

-سأل علي أحد كبراء الفرس عن أحمد الأخلاق فقال: الحلم والأناة. قال: هما توأمان ينتجهما علو الهمة.

-قال محمود الوراق:

إنّي وهبت لظالمي ظلمي** وغفرت ذاك له علىٰ علم

ورأيته أسدىٰ إليّ يدا** لمّا أبان بجهله حلمي

-قال محمد بن زياد يصف حلماء:

تخالهم في الناس صمّا عن الخنا** وخُرْسا عن الفحشاء عند التهاجر

ومرضىٰ إذا لوقوا حياء وعفّة** وعند الحفاظ كالليوث الخوادر

-قال بعضهم:

واعلم بأنك لن تسود ولن ترىٰ** سبل الرشاد إذا أطعت هواكا

-وقال آخر:

وكن معدنا للحلم واصفح عن الأذىٰ** فإنّك راءٍ ما علمت وسامعُ

-قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل: من سيّد قومك؟ قال: أنا. قال: كذبت لو كنت كذلك لم تقله.

-قال ضمرة للنعمان وكان دميما.. المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإن قال قال ببيان، وإن قاتل قاتل بجنان. قال: صدقت، وبحقّ سوّدك قومك.

-قالوا: يسود الرجل بأربعة أشياء: بالعقل، والأدب، والعلم، والمال. (فرق بين العقل والعلم).

-الحديث: كل الصّيد في جوف الفرا؛ والفرا: الحمار الوحشي، وهو مهموز.

-قال قيس بن عاصم لبنيه لما حضرته الوفاة: احفظوا عني، فلا أحد أنصح لكم مني؛ إذا أنا متّ فسوّدوا كباركم ولا تسوّدوا صغاركم؛ فيحقر الناس كباركم.

-قال الأحنف بن قيس: السؤدد مع السواد. (أراد به سواد الشعر).

أو: أراد بالسواد سواد الناس ودهماءهم، يقول: من لم يطر له اسم علىٰ ألسنة العامة بالسّؤدد، لم ينفعه ما طار له في الخاصة.

-قال قسّ بن ساعدة: من فاته حسب نفسه، لم ينفعه حسب أبيه.

-قالت عائشة.. إن كان كريما وآباؤه لئام لم يضره ذلك، وإن كان لئيما وآباؤه كرام لم ينفعه ذلك.

-قال ابن الطفيل العامري:

فما سوّدتني عامر عن وراثة** أبىٰ الله أن أسمو بجدّ ولا أب

ولكنّني أحمي حماها وأتّقي** أذاها وأرمي من رماها بمنكبي

-تكلم رجل عند عبد الملك بن مروان فأعجبه، فقال له: ابن من أنت؟ قال: أنا ابن نفسي.

-قال الشاعر:

مالي عقلي وهمّتي حسبي** ما أنا مولىٰ ولا أنا عربي

إذا انتمىٰ منتمٍ إلىٰ أحد** فإنّني منتمٍ إلىٰ أدبي

-قال بعضهم:

رأيت رجال بني دالقٍ** ملوكا بفضل تجاراتهم

وبربرنا عند حيطانهم** يخوضون في ذكر أمواتهم

وما الناس إلا بأبدانهم** وأحسابهم في حرّ أماتهم

-قال ابن عمر:.. نعدّ العفاف وإصلاح المال مروءة.

-قال العتبي عن أبيه لا تتمّ مروءة الرجل إلا بخمس: أن يكون عالما صادقا عاقلا ذا بيان مستغنيا عن الناس.

-قال الشاعر:

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه** ففي صالح الأخلاق نفسَك فاجعل

-قال خالد بن صفوان: الناس ثلاث طبقات: طبقة علماء، وطبقة خطباء، وطبقة أدباء، ورِجْرِجة (لا خير فيهم) بين ذلك، يغلون الأسعار، ويضيّقون الأسواق، ويكدرون المياه.

-قال الآخر:

وما الدّاء إلّا أن تعلّم جاهلا** ويزعم جهلا أنّه منك أعلم

-قالت الحكماء في أنواع الإخوان:.. وأخ يتملّق لك بلسانه، ويتشاغل عنك بشأنه، ويوسعك من كذبه وأيمانه.

-مرّ رجل بعبد الله بن مسعود، فقال لأصحابه: هذا لا يعلم، ولا يعلم أنه لا يعلم، ولا يتعلّم ممن يعلم.

-الغوغاء صغار الجراد شبه بها.. الناس.

-قال عمر لقوم:.. لا مرحبا بهذه الوجوه التي لا تُرىٰ إلا في شر.

-قال سهل بن هارون، من ثقل عليك بنفسه، وغمّك بسؤاله، فأعره أذنا صمّاء، وعينا عمياء.

- كان الأعمش إذا حضر مجلسه ثقيل يقول:

فما الفيل تحمله ميّتا** بأثقل من بعض جلّاسنا

-قال أبو حنيفة للأعمش وأتاه عائدا في مرضه: لولا أن أثقل عليك أبا محمد لعدتك والله في كل يوم مرتين. فقال له الأعمش. والله يا بن أخي أنت ثقيل عليّ وأنت في بيتك، فكيف لو جئتني في كل يوم مرتين.

-كان حماد بن سلمة إذا رأىٰ من يستثقله قال: رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ.

-قال العقيلي في ثقيل يكنىٰ أبا عمران:

كيف لا تحمل الأمانة أرض** حملت فوقها أبا عمران

-أهدىٰ رجل من الثقلاء إلىٰ رجل من الظرفاء جملا، ثم نزل عليه حتىٰ أبرمه، فقال فيه:

يا مبرما أهدىٰ جمل** خذ وانصرف ألفي جمل

-قال أبو تمام في رجل مقيت:

يا من تبرّمت الدّنيا بطلعته** كما تبرّمت الأجفان بالرّمد

-قال الشعبي:

بُلْه إذا جالستهم** صدئت لقربهم العقول (عقل مصدي)

-كتب الكسائي للرقاشي:

فلولا السلامة كنا كهم** ولولا البلاء لكانوا كنَا

-قال أبو تمام:

لو فرّ شيء قطّ من شكله** فرّ إذن بعضك من بعض

-قال أبو زيد النحوي:

وجه يحيىٰ يدعو إلىٰ البصق فيه** غير أنّي أصون عنه بصاقي

-قال العتبي:

قميص أبي أميّة، ما علمتم** وأوسخ منه جلد أبي أميّة

(الوصف والشتم بالوساخة)

***التفاؤل بالأسماء:**

-في الأثر: لا تبردوا بريدا إلا حسن الوجه حسن الاسم.

-أرسل المهلب للحجاج رسولا فقال له: ما اسمك؟ قال: مالك بن بشير. قال: مُلْك وبشارة.

-العرب والغراب: إنما تطيّرت العرب من الغراب للغربة، إذ كان اسمه مشتقا منها.

-كان أشعب يختلف إلىٰ قينة بالمدينة، فلما أراد الخروج سألها أن تعطيه خاتم ذهب في يدها ليذكرها به. قالت: إنه ذهب، وأخاف أن تذهب؛ ولكن خذ هذا العود، فعلك أن تعود.

-باب الطيرة:

-قال بعضهم:

وما صدقتك الطّير يوم لقيتنا** وما كان من دلّاك فينا بخابر

-قال ابن هانئ:

فالطير تخبرنا والطير صادقة** عن طيب عيش وعن طول من العمر (خبرتني العصفورة)

-اتخاذ الإخوان:

-قال داود لسليمان:.. لا تستبدل بأخ قديم أخا مستحدثا ما استقام لك.

-قال ابن الأعرابي:

لعمرك ما مال الفتىٰ بذخيرة** ولكنّ إخوان الصّفاء الذّخائر

-قال الأحنف:

أخوك الذي إن تدْعُه لملمّة** يجبْك وإن تغضب إلىٰ السيف يغضب

-قالوا: خير الإخوان من أقبل عليك إذا أدبر الزمان عنك.

-قيل لبعض الولاة: كم صديقا لك؟ قال: لا أدري؛ الدنيا مقبلة عليّ والناس كلهم أصدقائي، وإنما أعرف ذلك إذا أدبرت عني.

-قال آخر:

فإن صددت بوجهي كي أكافئه** فالعين غضبىٰ وقلبي غير غضبان

-قال علي:

لا تقطع أخاك علىٰ ارتياب، ولا تهجره دون استعتاب.

-قالوا: معاتبة الأخ خير من فقده.

-قال رجل لمطيع بن إياس: جئتك خاطبا مودتك. فقال له: قد زوجتك، علىٰ شرط أن تجعل صداقها؛ ألّا تسمع فيّ مقالة الناس.

-قال أبو عبد الله بن عرفة:

هموم رجال في أمور كثيرة** وهمّي من الدّنيا صديق مساعد

-قالوا: القريب من قرُب نفعه.

-قال ابن هرمة:

وإذا رأيت صديقه وشقيقه** لم تدر أيّهما أخو الأرحام

-التحبب إلىٰ الناس:

-قال ابن عبد ربه:

وجه عليه من الحياء سكينة** ومحبّة تجري مع الأنفاس

-قال أبو دهمان لسعيد بن مسلم:.. حبّ عباد الله موصول بحبّ الله، وبغضهم موصول ببغض الله.

-سأل المأمون ابن طاهر عن الحب فقال:.. إذا تقادحت جواهر النفوس.. انبعثت منها لمحة نور.. يسمىٰ الحب.

-سئل حماد الراوية عن الحب فقال:.. الحب شجرة أصلها الفكر، وعروقها الذكر، وأغصانها السهر.

-قال الشاعر:

وللحبّ آفات إذا هي صرّحت** تبدّت علامات لها غرر صفر

-قالوا:

لا يكن حبّك كلَفا، ولا بغضك سرَفا.

-قال الشاعر:

أحبّك حبّا لو تحبّين مثله** أصابك من وجد عليّ جنون

لطيفا مع الأحشاء أمّا نهاره** فدمع وأما ليله فأنين

-قال المثل: لا تقْتنِ من كلب سوء جروا.

-قال الشاعر:

ترجو الوليد وقد أعياك والده** وما رجاؤك بعد الوالد الولد

-قال اليشكري:

طلبوا صلحنا ولات أوان** إنّ ما يطلبون فوق النّجوم

***الحسد:**

-قال قيس بن زهير لغطفان:.. مع النعمة والثروة التحاسد والتخاذل، وأن مع القلة التحاشد والتناصر.

-الأحنف بن قيس، صلىٰ علىٰ حارثة بن قدامة السّعدي، فقال: رحمك الله، كنت لا تحسد غنيا، ولا تحقر فقيرا.

-قال الحسن: أصول الشر وفروعه ستة: فالأصول الثلاثة: الحسد، والحرص، وحب الدنيا، والفروع كذلك: حب الرياسة، وحب الثناء، وحب الفخر.

-قال الحسن: يحسد أحدهم أخاه حتىٰ يقع في سريرته وما يعرف علانيته، ويلومه علىٰ ما لا يعلمه منه، ويتعلم منه في الصداقة ما يعيّره به إذا كانت العداوة؛ والله ما أرىٰ هذا بمسلم.

-قال عمر بن ذر: اللهم من أرادنا بِشَرّ، فاكفناه بأيّ حكميك شئت، إما بتوبة وإما براحة. قال ابن عباس: ما حسدت أحدا ما حسدت علىٰ هاتين الكلمتين.

. قال ابن عباس: لا تحقرنّ كلمة الحكمة أن تسمعها من الفاجر؛ فإنما مثله كما قال الأوّل: ربّ رمية من غير رام.

-قال الحكماء في الحاسد:.. إن سالمته وتَرَك (أساءك)، وإن واصلته قطعك.

-وقال الحكماء:.. يا عجبا لرجل أسلكه الشيطان مهاوي الضلالة، وأورده قُحَم الهلكة.

-أنشدني فتىٰ بالرملة (منطقة بقرطبة):

اصبر علىٰ حسد الحسود** فإنّ صبرك قاتله

كالنار تأكل بعضها** إن لم تجد ما تأكله

-قال عبد الملك بن مروان للحجاج: إنه ليس من أحد إلا وهو يعرف عيب نفسه، فصف لي عيوبك. قال: أعفني يا أمير المؤمنين. قال: لست أفعل. قال: أنا لحوح، لدود، حقود، حسود. قال: ما في إبليس شرّ من هذا.

-قال المهلبي للمنصور:

إنّ العرانين تلقاها محسّدة** ولا ترىٰ للئام الناس حسّادا

-قال ابن مناذر:

أو ارو فقها تحيا القلوب به** جاء به عن نبيّنا الأثر

فغنّ صوتا تشجىٰ القلوب به** وبعض ما قد أتيت يغتفر

-قال رجل لأحد الأشرار في البصرة:

ما بال جيرانك يشكونك؟ قال: إنهم يحسدونني! قال له: علىٰ أيّ شيء يحسدونك؟ قال: علىٰ الصَّلب!.

-محاسدة الأقارب:

-كتب عمر للأشعري:

مر ذوي القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا.

-قال يحيىٰ بن سعيد: من أراد أن يبين عمله ويظهر علمه، فليجلس في غير مجلس رهطه.

-قيل لعطاء بن مصعب: كيف غلبت علىٰ البرامكة وكان عندهم من هو آدبُ منك؟ قال: كنت بعيد الدار منهم، غريب الاسم، عظيم الكبر، صغير الجرم، كثير الالتواء، فقرّبني إليهم تباعدي منهم، ورغّبهم فيّ رغبتي عنهم، وليس للقرباء ظرافة الغرباء.

-كان الخليفة أبو العباس في نزهة بالأنبار فرآه أعرابي فقال: ممن الرجل؟ قال: من كنانة. قال: من أيّ كنانة؟ قال: من أبغض كنانة إلىٰ كنانة. قال: فأنت إذا من قريش؟ قال: نعم. قال: فمن أيّ قريش؟ قال: من أبغض قريش إلىٰ قريش. قال:

فأنت إذا من ولد عبد المطلب؟.. قال: فأنت إذا أمير المؤمنين.

-قال الشاعر:

مهلا بني عمّنا، مهلا موالينا** لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

-قال أبو تمام:

ذو الودّ مني وذو القربىٰ بمنزلة** وإخوتي أسوة عندي وإخواني

-قال امرؤ القيس:

أجارتنا إنا غريبان ها هنا** وكلّ غريب للغريب نسيب

-رأىٰ سليمان عليه السلام قصرا منقوش عليه أبيات:

خرجنا من قرىٰ اصطخر** إلىٰ القصر فقِلناه (فقلناه = اتخذناه مقيلاً).

-السعاية والبغي:

-كان المأمون إذا ذكر السعاة قال: ما ظنّكم بقوم يلعنهم الله علىٰ الصدق.

-قال الأحنف لابن الزبير: أخبرني الثقة. فقال له: كلا إنّ الثقة لا يبلّغ.

-وقيل: حسبك من شرّ سماعه.

-قال الشاعر:

لا تقبلنّ نميمة بلّغتها** وتحفّظنّ من الذي أنباكها

-قال دِعبل:

وقد قطع الواشون ما كان بيننا** ونحن إلىٰ أن يوصل الحبل أحوج

رأوا عورة فاستقبلوها بأَلْبِهم** فلم ينههم حلم ولم يتحرّجوا

(ألبهم=جمعهم)

-الغيبة: مر ابن سيرين بقوم فقال بعضهم: قد نلنا منك فحلّلنا. فقال: إني لا أحلّ ما حرّم الله عليك.

-اغتاب رجل رجلا عند قتيبة فقال له: أمسك عليك.. فوالله لقد تلمّظتَ بمضغة طالما لفظها الكرام. (تلمظت= تذوقت)

-جاء رجل إلىٰ ابن سيرين فقال له: بلغني أنك نلتَ مني. قال: نفسي أعزّ عليّ من ذلك.

-وقع رجل في طلحة والزبير عند سعد بن أبي وقّاص، فقال له: اسكت، فإنّ الذي بيننا لم يبلغ ديننا.

***مداراة أهل الشر:**

-قال الأحنف: رب رجل لا تغيب فوائده وإن غاب، وآخر لا يسلم منه جليسه وإن احترس.

-قال ابن هراسة: إن من الناس ناسا.. ليس لرضاهم موضع تعرفه، ولا لسخطهم موضع تحذره.

-قال العتبي:

لي صديق يرىٰ حقوقي عليه** نافلات وحقّه الدّهرَ فرضا

-قال دعبل:

اسقهم السّمّ إن ظفرت بهم** وامزج لهم من لسانك العسلا

-وقال آخر:

بلاء ليس يشبهه بلاء** عداوة غير ذي حسب ودين

يبيحك منه عرضا لم يصنه** ليرتع منك في عرض مصون

-عرض علىٰ أبي مسلم صاحب الدعوة فرس جواد، فقال لقوّاده: لماذا يصلح مثل هذا الفرس؟ قالوا: إنا نغزو عليه العدو. قال: لا، ولكن يركبه الرجل فيهرب عليه من جار السّوء.

-أثر: لو أن المؤمن كالقِدْح لقال الناس ليت ولولا.

-قال بعضهم:

ذهب الناس وبقي النسناس.

-قال الشاعر:

أيا دهر إن كنت عاديتنا** فما قد صنعت بنا ما كفاكا

جعلت الشّرار علينا خيارا** وولّيتنا بعد وجه قفاكا

-قال آخر:

إذا كان الزمان زمان تيم** وعُكْلٍ فالسلام علىٰ الزمان

زمان صار فيه الصدر عجزا** وصار الزّجّ قدّام السّنان

-قال فرج بن سلام:

إن دام ذا الدهر لم نحزن علىٰ أحد** يموت منّا ولم نفرح بمولود

-قال مؤمن بن سعيد في معقل الضبي وعثمان ابن أخيه:

ففي است امّ دنيانا وفي است امّ خيرها** وفي است امّ عثمان وفي است امّ معقل

-قال ابن مناذر:

يا طالب الأشعار والنحو** هذا زمان فاسد الحشو

نهاره أوحش من ليله** ونشوه من أخبث النشو

فدع طلاب النحو لا تبغه** ولا تقل شعرا ولا ترو

فما يجوز اليوم إلّا امرؤ** مستحكم العزف أو الشّدو

أو طِرْمِذانٌ قوله كاذب** لا يفعل الخير ولا ينوي (طرمذان = المتفاخر)

-قال المصنف:

ودهر سادت العُبْدانُ فيه** وعاثت في جوانبه الذّئاب

وأيام خلت من كلّ خير** ودنيا قد توزّعها الكلاب

كلاب لو سألتهم ترابا** لقالوا: عندنا انقطع التّراب

-**رسالة للجاحظ** إلىٰ بعض إخوانه في ذم الزمان.. وجدنا الحياء متصلا بالحرمان.. إذ وجدنا من فيه السّفوليّة الواضحة، والمثالب الفاضحة، والكذب المبرّح، والخُلْف المصرّح، والجهالة المفرطة، والركاكة المستخفّة، وضعف اليقين والاستيثاب، وسرعة الغضب والخفة قد استكمل سروره، واعتدلت أموره، وفاز بالسهم الأغلب، والحظّ الأوفر، والقدر الرفيع، والجواب الطائع، والأمر النافذ، إن زلّ قيل حَكَم (صار حكيما)، وإن أخطأ قيل أصاب، وإن هذىٰ في كلامه وهو يقظان، قيل رؤيا صادقة في سِنَة (نومة) مباركة.. أن الطّلاح أجدىٰ من الصّلاح، وأن الفضل قد مضىٰ زمانه، وعفت آثاره..

تحامَقْ مع الحمقىٰ إذا ما لقيتهم** ولاقهم بالجهل فِعْلَ أخي الجهل

.. لا تسوغ له نعمة ولا يطعم عينيه غمضة.. عذاب عيني برؤية المغايظة المضنية، والأخبار المهلكة، كأن الزمان توكل بعذابي، أو انتصب لإيلامي؛ فما عيشُ من لا يُسَرّ بأخ شقيق، ولا خدن شفيق، ولا يصطبح في أول نهاره إلا برؤية من تكره رؤيته، ونغمة من تغمّه طلعته، فبدّل الله لي - أي أخي - بالمسكن مسكنا، وبالربع ربعا، فقد طالت الغمة، وواطنت الكربة، وادلهمّت الظّلمة، وخمد السراج، وتباطأ الانفراج.

-فساد الإخوان:

-قال عروة:.. ما بقي بالمدينة إلا حاسد علىٰ نعمة، أو شامت بمصيبة.

-قال الرياشي:

وأسلمني الزّمان إلىٰ رجال** كأمثال الذّئاب لها عواء

-قالت الحكماء: لا شيء أضيع من مودة من لا وفاء له.. والكريم يودّ الكريم عن لقْية واحدة، واللئيم لا يصل أحدا إلا عن رغبة أو رهبة.

-في كتاب الهند:

إن الرجل السّوء لا يتغير عن طبعه، كما أن الشجرة المرّة لو طليتها بالعسل، لم تثمر إلا مرّا.

-سمع رجل أبا العتاهية ينشد:

فارمي بطرفك حيث شئـ**ـت فلن ترىٰ إلا بخيلا

فقال له: بخّلت الناس كلّهم! قال: فأكْذِبْني بسخيٍّ واحد!.

-قال أبو العتاهية:

أرىٰ قوما وجوههم حسان** إذا كانت حوائجهم إلينا

وإن كانت حوائجنا إليهم** يقبّح حسن أوجههم علينا

فإن منع الأشحّة ما لديهم** فإنّا سوف نمنع ما لدينا

-وقال:

موالينا إذا احتاجوا إلينا** وليس لنا احتياج للموالي

-قال البكري:

وخليل لم أخنه ساعة** في دمي كفّيه ظلما قد غمس

كان في سرّي وجهري ثقتي** لست عنه في مهمّ أحترس

ستر البغض بألفاظ الهوىٰ** وادّعىٰ الودّ بغشّ ودلس

-قال ابن أبي حازم:

وخِلٍّ كان يخفض لي جناحا** أفاد غنىٰ فنابذني جماحا

فقلت له ولي نفس عزوف** إذا حميت تقحّمت الرّماحا

سأبدل بالمطامع فيك يأسا** وباليأس استراح من استراحا

-قال ابن جعفر:

وأنت أخي ما لم تكن لي حاجة** فإن عرضتْ أيقنت أن لا أخا ليا

كلانا غنيّ عن أخيه حياتَه** ونحن إذا متنا أشدّ تغانيا

-قال ابن أبي حازم:

وقالوا لو مدحت فتىٰ كريما** فقلت وكيف لي بفتىٰ كريم

بلوتُ ومرّ بي خمسون حولا** وحسبك بالمجرّب من عليم

فلا أحد يعدّ ليوم خير** ولا أحد يعود علىٰ عديم

-وقال:

قد بلوتُ الناس طرّا** لم أجد في الناس حرّا

صار حلو الناس في العي** ن إذا ما ذيق مرّا

-وقال:

من سلا عنّي أطلق** ت حبالي من حباله

أو أجدّ الوصل سارعْت** تُ بجهدي في فصاله

كيفما صرّفني الده** ر فإني من رجاله

-قال المصنف:

وأَعْذَرُ ما أدمىٰ الجفون من البكا** كريم رأىٰ الدنيا بكفّ لئيم

. وقوله:

رزق من الله أرضاهم وأسخطني** والله للأنْوَكِ المعتوه رزّاق

-قال مؤمل بن سعيد:

لو رأوني وسط بحر لم يكن** أحد يأخذ منهم بيدي

***باب في الكبر:**

-قال يحيىٰ بن حيّان: الشريف إذا تقوّىٰ تواضع، والوضيع إذا تقوّىٰ تكبّر.

-ذكر الحسن المتكبرين فقال: يُلْفىٰ أحدهم ينص رقبته نصا (يرفعها)، ينفض مِذْرَوَيه (فرعا الأليتين)، ويضرب أصدريه، يملخ في الباطن ملخا (يتردد ويكثر)، يقول: ها أنا ذا فاعرفوني. قد عرفناك يا أحمق، مقتك الله ومقتك الصالحون.

-وقف عيينة بن حصن بباب عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، فقال: استأذنوا لي علىٰ أمير المؤمنين وقولوا: هذا ابن الأخيار بالباب. فأذن له؛ فلما دخل عليه قال له:

أنت ابن الأخيار؟ قال: نعم. قال له: بل أنت ابن الأشرار، وأما ابن الأخيار فهو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

-وقيل لرجل من عبد الدّار عظيم الكبر: ألا تأتي الخليفة. قال: أخشىٰ ألا يحمل الجسر شرفي.

وقيل له: ألا تلبس؟ فإنّ البرد شديد. قال: حسبي يدفئني.

-قيل للحجاج: كيف وجدت منزلك بالعراق أيها الأمير؟ قال: خير منزل، لو أدركت بها أربعة نفر؛ لتقرّبت إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ بدمائهم.

منهم القائل "لقد كلّفتم ربّكم شططا"، والقائل "لمثلي يقال يا عبد الله؟ ويلك! "، والقائل "والله لئن لم يردد عليّ ناقتي لا صلّيت أبدا".. قال ناقل الحديث: ونسي الحجاج نفسه وهو خامس هؤلاء الأربعة، بل هو أشدّهم كبرا، وأعظمهم إلحادا.

-قال العتبي: رأيت محرزا مولىٰ باهلة يطوف علىٰ بغلة بين الصفا والمروة، ثم رأيته بعد ذلك علىٰ جسر بغداد راجلا، فقلت له: أراجل أنت في مثل هذا الموضع؟ قال:

نعم، إني ركبت في موضع يمشي الناس فيه، فكان حقيقا علىٰ الله أن يرجلني في موضع يركب الناس فيه.

-قال بعض الحكماء:

عليك بالترحيب والبشر، وإياك والتقطيب والكبر؛ فإن الأحرار أحب إليهم أن يلقوا بما يحبون ويحرموا من أن يلقوا بما يكرهون ويعطوا؛ فانظر إلىٰ خصلة غطت علىٰ مثل اللؤم فالزمها، وانظر إلىٰ خصلة عفت علىٰ مثل الكرم فاجتنبها.

-قال محمود الوراق:

التّيه مفسدة للدين منقصة** للعقل مجلبة للذم والسّخط

منع العطاء وبسط الوجه أحسن من** بذل العطاء بوجه غير منبسط

-وقال:

بِشْرُ البخيل يكاد يصلح بخله** والتّيه مفسدة لكلّ جواد

***التسامح مع النعمة والتذلل مع المصيبة:**

-قالوا: من عزّ بإقبال الدهر ذلّ بإدباره.

-وقالوا: من أبطره الغنىٰ أذلّه الفقر.

-كتب ابن الجهم لابن الزيات:

فإن كنت قد أوتيت في اليوم رفعة** فإنّ رجائي في غد كرجائكا

-كتب علي إلىٰ عقيل:

فإن تسألنّي كيف أنت فإنّني** جليدٌ علىٰ عضّ الزّمان صليبُ

عزيز عليّ أن تُرىٰ بي كآبة** فيفرح واشٍ أو يساء حبيب

❋ذم الجهل والحمق: في الأثر: الجاهل يظلم من خالطه، ويعتدي علىٰ من هو دونه، ويتطاول علىٰ من هو فوقه، ويتكلّم بغير تمييز، وإن رأىٰ كريمة أعرض عنها، وإن عرضت فتنة أردته وتهوّر فيها.

-قال أبو الدرداء: علامة الجاهل ثلاث: العجب، وكثرة المنطق، وأن يُنْهىٰ عن شيء ويأتيه.

-وقيل: خصلتان تقرّبانك من الأحمق: كثرة الالتفات، وسرعة الجواب.

❋التواضع:

-قالت الحكماء: كلّ نعمة يحسد عليها إلا التواضع.

-قال عبد الملك بن مروان:

أفضل الرجال من تواضع عن رفعة، وزهد عن قدرة، وأنصف عن قوّة.

-قال أبو العتاهية:

إذا أردت شريف النّاس كلّهم❋❋ فانظر إلىٰ مَلِك في زيّ مسكين

ذاك الذي عظمت في الناس همته❋❋ وذاك يصلح للدنيا وللدّين

❋الرفق والأناة:

-قال الحكماء:.. الماء علىٰ لينه يقطع الحجر علىٰ شدّته.

-وقالو: العجل بريد الزّلل.

❋الراحة في بث مكنون السر إلىٰ الصديق:

-تقول العرب:.. لو كان في جسدي برص ما كتمته.

-وقالو: مكاتمة الأدنين صريح العقوق.

-قال الشاعر:

وأبثثت عمرا بعض ما في جوانحي❋❋ وجرعته من مرّ ما أتجرّع

ولا بدّ من شكوىٰ إلىٰ ذي حفيظة❋❋ إذا جعلت أسرار نفس تطلّع

-قال محمد البصري:

لعب الهوىٰ بمعالمي ورسومي** ودفنتُ حيّا تحت ردم همومي

وشكوت همّي حين ضقت ومن شكا** همّا يضيق به فغير ملوم

***الاستدلال باللحظ عن الضمير:**

-قالت الحكماء: العين باب القلب؛ فما كان في القلب ظهر في العين.

-قال صريع الغواني:

فأعرف فيها الوصل في لين طرفها** وأعرف فيها الهجر في النّظر الشّزر

-قال محمود الوراق:

ينطقن والأفواه صامتة فما** يخفىٰ عليك بريئها ومريبها

***الإصابة بالظن:**

-قيل لعمرو بن العاص: ما العقل؟ قال: الإصابة بالظنّ، ومعرفة ما يكون بما قد كان.

-قال الشاعر:

وقلّما يفجأ المكروه صاحبه** حتىٰ يرىٰ لوجوه الشّرّ أسبابا

وإنما ركّب الله العقل في الإنسان دون سائر الحيوان؛ ليستدلّ بالظاهر علىٰ الباطن ويفهم الكثير بالقليل.

***تقديم القرابة وتفضيل المعارف:**

كان عمر يمنع أقاربه ابتغاء وجه الله.

-قيل للقسري: أيّ رجل أنت لولا أنك تحابي.

-قال ابن شُبْرُمة لأهل خاصته ومودته بعد عزله:.. عزلتُ عنها وأنا كاره، وما بي في ذلك إلا مخافة أن يلي هذه الوجوه من لا يعرف حقها. ثم تمثّل بقول الشاعر:

فما السّجن أبكاني ولا القيد شفّني** ولا أنني من خشية الموت أجزع

-قال الشاعر:

إذا كان الأمير عليك خصما** فليس بقابل منك الشّهودا

٭فضل العشيرة:

قال الله عز وجل فيما حكاه عن لوط: لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ.

يعني العشيرة، ولم يكن للوط عشيرة.. ثم ذكر شعيبا إذ قال له قومه: إِنَّا لَنَراكَ فِينا ضَعِيفاً وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْناكَ.

وكان مكفوفا، والله ما هابوا إلا عشيرته.

٭الدَّيْن:

-قال الشاعر:

إذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن٭٭ قضاء ولكن كان غرما علىٰ غرم

-قال المصنف في الكذب والخلف:

فصادفت حجرا لو كنت تضربه٭٭ من لؤمه بعصا موسىٰ لما انبجسا

كأنّما صِيغَ من بخل ومن كذب٭٭ فكان ذاك له روحا وذا نفسا

-قال أبو تمام في عياش:

يا أكثر وعدا حشوه خلف٭٭ وأكثر الناس قولا حشوه كذب

٭التنزه عن سماع الخنا: قال عمرو بن عتبة لسعد القصير ورجل يشتم رجلا بين يديه: ويلك! نزّه سمعك عن استماع الخنا، كما تنزّه لسانك عن الكلام به.

٭الغلو في الدين:

. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: خير هذه الأمة هذا النّمط الأوسط، يرجع إليهم الغالي ويلحق بهم التالي.

-وقال مَعْمَر: رأيت قميص أيوب السختياني يكاد يمسّ الأرض، فسألته عن ذلك، فقال: إن الشّهرة كانت فيما مضىٰ في تذييل القميص وإنها اليوم في تشميره.

- ابن عون اشترىٰ برنسا. فمرّ علىٰ معاذة العدويّة، فقالت: مثلك يلبس هذا؟ فذكرت ذلك لابن سيرين، فقال: أفلا أخبرتها أن تميماً الدّاريّ اشترىٰ حلّة بألف يصلّي فيها! قدم حمّاد بن سلمة البصرة، فجاءه فرقد السّبخيّ وعليه ثياب صوف، فقال له حماد: دع عنك نصرانيّتك هذه!.

-كان القاسم بن محمد يلبس الخزّ وسالم بن عبد الله يلبس الصوف ويقعدان في مسجد المدينة؛ فلا ينكر هذا علىٰ هذا ولا ذا علىٰ هذا.

-صلىٰ الأعمش في مسجد فأطال الإمام، فنصحه الأعمش فقال الإمام: وإنها لكبيرة إلا علىٰ الخاشعين. فقال الأعمش: أنا رسول الخاشعين إليك، إنهم لا يحتاجون إلىٰ هذا منك.

-قال علي لعاصم بن زياد:.. إن الله يعطي علىٰ قدر الألم والمصيبة، وتالله لابتذال نعم الله بالفعال، أحبّ إليّ من ابتذالها بالمقال.. قال عاصم: فعلام اقتصرت.. علىٰ لبس الخشن وأكل الحشَف؟. قال: إن الله افترض علىٰ أئمة العدل أن يقدّروا أنفسهم بالعوام، لئلا يشْنُع بالفقير فقره.

❋القول بالقدر:

-ذكر القدر في مجلس الحسن البصري فقال: إنّ الله خلق الخلق للابتلاء، لم يطيعوه بإكراه، ولم يعصوه بغلبة.

-قال غيلان لربيعة: أنت الذي تزعم أنّ الله أحبّ أن يُعصىٰ؟ فقال له ربيعة:

أنت الذي تزعم أن الله يُعصىٰ كَرْهًا؟ فكأنما ألقمه حجرا.

-قيل للشعبي: رأيت قتادة؟ قال: نعم. رأيت كُناسة بين حُشَّين.. القدر هو العلم والكتاب والكلمة والإذن والمشيئة.

-وقال رجل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما تقول في القدر؟ قال: ويحك! أخبرني عن رحمة الله، أكانت قبل طاعة العباد؟ قال: نعم. قال عليّ: أسلَمَ صاحبكم وقد كان كافرا..قال: قم فلا مشيئة لك.

-قال الأوزاعي لغيلان في مجلس هشام:.. قضىٰ علىٰ ما نهىٰ عنه: نهىٰ آدم عن أكل الشجرة، وقضىٰ عليه بأكلها.

وحال دون ما أمر، أمر إبليس بالسجود لآدم وحال بينه وبين ذلك. وأعان علىٰ ما حرّم، حرّم الميتة وأعان المضطر علىٰ أكلها.

-قال كعب بن زهير:

يسعىٰ الفتىٰ لأمور ليس يدركها❋ فالنفس واحدة والهم منتشر

-قال المأمون للمرتد الخراساني:.. فو الله لأن أستحييك بحق، أحبّ إليّ من أن أقتلك بحق.. قال المرتد: أوحشني منكم ما رأيت، من كثرة الاختلاف في دينكم.

قال المأمون: لنا اختلافان: أحدهما كاختلافنا في الأذان، والتكبير في الجنائز، وصلاة العيدين والتشهد، والتسليم من الصلاة، ووجوه القراءات، واختلاف وجوه الفتيا، وما أشبه ذلك؛ وهذا ليس باختلاف، وإنما هو تخيير وتوسعة وتخفيف من السنّة.. ولو شاء الله أن ينزل كتبه مفسرة، ويجعل كلام أنبيائه ورسله لا يختلف في تأويله لفعل.

-كتب واصل بن عطاء إلىٰ عمرو بن عبيد.. لاستبشاع قبح مذهبك.. جميع أصحابنا، فلله تلكم لُمّة وأوعياء وحفظة، ما أدمث الطبائع، وأرزن المجالس، وأبين الزّهد وأصدق الألسنة... فلا تؤاخذني بما ينسبون إليّ من بعدي... وما أدّته إلينا رواياتك من تنقيص المعاني.. فلا يغررك -أي أخي- تدبير من حولك، وتعظيمهم طَوْلك، وخفضهم أعينهم عنك إجلالا لك، غدا والله تمضي الخيلاء والتفاخر.. فأدّ المسموع، وانطق بالمفروض، ودع تأويلك الأحاديث علىٰ غير وجهها، وكن من الله وجلا فكأنّ قد.

***أخبار الخوارج:**

لما كان من أمر الحَكَمين.. واختداع عمرو لأبي موسىٰ الأشعري قالوا: لا حكم إلا بالله.. فخطب علي.. من زعم أني رجعت عن الحكومة فقد كذب، ومن رآها ضلالا، فهو أضلّ منها.. فوجّه إليهم عبد الله بن العباس، فلما صار إليهم.، رحّبوا به وأكرموه، فرأىٰ منهم جباها قرحتْ لطول السجود، وأيديا كثفنات (رُكَب) الإبل، وعليهم قمص مُرْحَضة (مغسولة)، وهم مشمّرون.. فقال: نشدتكم الله إلا ما صدقتم أنفسكم.. قالوا: إنّ معاوية يدّعي مثل دعوىٰ عليّ، قال: فأيهما رأيتموه أولىٰ فولّوه. قالوا: صدقت.

(شورىٰ).. وكان منهم.. زهاء ألفين ممن يسرّ أمره.. فقال لهم: أحيوا ما أحيا القرآن، وأميتوا ما أمات القرآن.. إن عليا أعلم بالله منكم، وأشدّ توقّيا علىٰ دينه، وأبعد بصيرة.. ولقوا عبد الله بن خباب.. قالوا: إنك لستَ تتبع الهدىٰ، بل الرجال علىٰ أسمائها.. فذبحوه،

فامذقرّ دمه- أي جرىٰ مستقيما علىٰ دقة-.

❋**الخوارج وابن الزبير:**.. فلما صاروا إليه.. فأظهر لهم أنه علىٰ رأيهم.. فقالوا: فما تقول في عثمان الذي حمىٰ الحمىٰ، وآوىٰ الطريد.. وأوطأ آل بني معيط رقاب الناس وآثرهم بفيء المسلمين.. فقال ابن الزبير.. قد كان يغنيكم عن هذا القول الذي سمّيتم فيه طلحة وأبي أن تقولوا: أتبرأ من الظالمين؟ فإن كانا منهم دخلا في غِمار الناس، وان لم يكونا منهم لم تُحْفِظوني بسبّ أبي وصاحبه.. وليس يقنعكم إلا التوقيف والتّصريح... فلما كان العشي راحوا.. قال: هذا خروج مُنابِذ.. (خطب ابن الزبير وذكر الصحابة فقال): فإن يكن ما صنعوا حقّا فأهل ذلك هم، وإن يكن زلّة، ففي عفو الله تمحيصها.. (وذكر عائشة وقال): فإن أبىٰ آبٍ أن تكون له أمّا، نبذ اسم الإيمان عنه (إشارة لآية الأحزاب).

❋كتب ابن الأزرق لابن الزبير يقول عن طلحة وعلي في شأن عثمان... وكانوا في أمره بين قاتل وخاذل.

-وكتب نجدة من الصُّفرية لابن الأزرق

.. أصبت من الحق فصّه، وركبت مرّه، تجرّد لك الشيطان فلم يكن أحد أثقل وطأة عليه منك ومن أصحابك.. وأكفرت الذين عذرهم الله في كتابه من قَعَد المسلمين (القعد: جمع قاعد).. فكتب إليه نافع.. فإن نبي الله نوحا عليه السلام كان أعرف بالله يا نجدة مني ومنك.. فدماؤهم حلال طِلْق (طيّب).

❋قال مرداس الخارجي لابن رباح الأنصاري.. أريد أن أهرب بديني.. من أحكام الجَوَرة والظلم.. (وجدوا صاحب المال في الطريق فأخذوا نصيبهم من الفيء وتركوا الباقي للمسلمين).

❋ومن شعره:

أبعد ابن وهب ذي النّزاهة والتّقىٰ❋❋ ومن خاض في تلك الحروب المهالكا

أحبّ بقاء أو أرجّي سلامة❋❋ وقد قتلوا زيد بن حصن ومالكا

فيا ربّ سلّم نيّتي وبصيرتي❋❋ وهب لي البقا حتىٰ ألاقي أولئكا

❋وقالوا لأحد رجال زياد.. لم نخرج لنفسد في الأرض ولا لنروّع أحدا، ولكن هربنا من الظلم.. (وأرسل إليهم زياد جيشا في ألفي رجل وهم أربعون لكن قائده أسلم

الكلابي فر وقال لزياد لما غضب منه):.. والله لأن تذمّني حيّا أحبّ إليّ من أن تحمدني ميتا.. وكان إذا خرج إلىٰ السوق ومر بالصبيان صاحوا به: أبو بلال: وراءك!.

* (جاء رجال من الخوارج إلىٰ عمر بن عبد العزيز في خناصر): فقال عمر: فتّشوهما لا يكن معهما حديد، وأدخلوهما.. فقال لهما عمر: أخبراني: ما الذي أخرجكم عن حكمي هذا وما نقمتم؟.. لم تخرجوا مخرجكم هذا لطلب الدنيا ومتاعها، ولكنكم أردتم الآخرة فأخطأتم سبيلها.. قال: أفرأيتم الدين، أليس هو واحدا أم الدين اثنان؟.. أو رأيت لعن أهل الذنوب فريضة.. ويحكم! إنكم قوم جهال، أردتم أمرا فأخطأتموه.. فقال الأسود: ما سمعت كاليوم أحدا أبين حجة، ولا أقرب مأخذا (فرجع بعضهم للحق وأقام مع عمر وأمر له بالعطاء).

***الرافضة..** وإنما قيل لهم رافضة لأنهم رفضوا أبا بكر وعمر.. والشيعة دونهم، وهم الذين يفضلون عليا علىٰ عثمان ويتولّون أبا بكر وعمر، فأما الرافضة فلها غلّو شديد في عليّ.. (منهم كثير عزة لما حضرته الوفاة قال لابنة أخيه: أحبي هذا الرجل أي: عليا). فقالت:

نصيحتك يا عمّ مردودة عليك، أحبه والله خلاف الحبّ الذي أحببته أنت.

-قال ثمامة بن أشرس لرجل من الحِسْبانية (مبتدع):

وعساك تأكل من خرا*** ك وأنت تحسبه كباب

*ومن الرافضة الحسينية، وهم أصحاب إبراهيم بن الأشتر، وكانوا يطوفون بالليل في أزقّة الكوفة وينادون: يا ثارات الحسين. فقيل لهم الحسينية.. ومن الرافضة الزيدية، وهم أصحاب زيد بن عليّ المقتول بخراسان، وهم أقلّ الرافضة غلوّا، غير أنهم يرون الخروج مع كل من خرج.

-قال الشعبي فيهم:.. لو أردت أن يعطوني رقابهم عبيدا، وأن يملؤوا بيتي ذهبا؛ علىٰ أن أكذبهم علىٰ عليّ كذبة واحدة لفعلوا، ولكني والله لا أكذب عليه أبدا.. إني درست الأهواء كلها، فلم أر قوما أحمق من الرافضة؛ فلو كانوا من الدواب لكانوا حميرا، أو كانوا من الطير لكانوا رَخَما.. أحذرك الأهواء المضلّة، شرّها الرافضة، فإنها يهود هذه الأمة، يبغضون الإسلام كما يبغض اليهودُ النصرانية، ولم يدخلوا في الإسلام رغبة ولا رهبة من الله، ولكن مقتا لأهل الإسلام وبغيا عليهم،

(مقارنة الشعبي بين اليهود والرافضة)

-تستحل دم كلّ مسلم

. وقال: لقد بغّضوا إلينا حديث عليّ ابن أبي طالب.

. وقال الشعبي: ما شبّهت تأويل الروافض في القرآن إلا بتأويل رجل مضعوف من بني مخزوم من أهل مكة، وجدته قاعدا بفِناء الكعبة، فقال: ما عندك في تأويل

بيتا زرارة محتب بفنائه** ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

فقلت له: وما عندك أنت فيه؟

قال: البيت هو هذا البيت- وأشار بيده إلىٰ الكعبة- وزرارة الحجر، زرّر حول البيت. فقلت: فمجاشع؟ قال: زمزم جشعت بالماء. قلت: فأبو الفوارس؟ قال: هو أبو قبيس جبل مكة. قلت: فنهشل؟ ففكر فيه طويلا، ثم قال: أصبته، هو مصباح الكعبة، طويل أسود وهو النهشل.

-قال الجاحظ:.. كان معنا في السفينة شيخ شرس الأخلاق، طويل الإطراق، وكان إذا ذُكِر له الشيعة غضب واربد وجهه وزوىٰ من حاجبيه.. ما أكره منهم إلا هذه الشّين في أول اسمهم، فإني لم أجدها قطّ إلا في كل شرّ وشؤم وشيطان وشغب وشقاء وشنار وشرر وشين وشوك وشكوىٰ وشهوة وشتم وشح. قال أبو عثمان: فما ثبت لشيعيّ بعدها قائمة.

-دخل النظّام علىٰ أبي هذيل وحاوره فقال:.. قبّحك الله من شيخ، ما أضعف صحتك وأسفه حلمك.

***الحياء:**

-ذكر أعرابي رجلا حييّا فقال: لا تراه الدهر إلا كأنه لا غنىٰ به عنك، وإن كنت إليه أحوج، وإن أذنبت غفر وكأنه المذنب، وإن أسأت إليه أحسن وكأنه المسيء.

-لليلىٰ الأخيلية: فتىٰ هو أحيا من فتاة حييّة... وأشجع من ليث بخِفّان خادر (غيل من الشجر)

-ولابن قيس:

تخالهم للحلم صمّا عن الخنا** وخرسا عن الفحشاء عند التهاجر

ومرضىٰ إذا لوقوا حياء وعفّة** وعند الحفاظ كالّليوث الخوادر

-قال عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه: قُرِنت الهيبة بالخيبة، والحياء بالحرمان.

-وقد قيل:

ارفع حياءك فيما جئت طالبه** إنّ الحياء مع الحرمان مقرون

-وصف رجل الحياء عند الأحنف فقال:

إنّ الحياء ليتم لمقدار من المقادير، فما زاد علىٰ ذلك فسمه بما أحببت.

-ولابن أبي حازم:

وإني ليثنيني عن الجهل والخنا** وعن شتم ذي القربي خلائق أربع:

حياء، وإسلام، وتقوىٰ، وأنّني** كريم ومثلي قد يضر وينفع

-وقال آخر:

يرىٰ الشّتم مدحا والدناءة رفعة** وللسمع منه في العظات نفور

فرَجِّ الفتىٰ ما دام يحيا فإنّه** إلىٰ خير حالات المنيب يصير

***جامع الآداب:**

-قال المصنف:.. وفي الإعراض عن الجاهلين تنزيه النفس عن ممارة السفيه ومنازعة اللجوج.

-في الأثر: ألا أنبئكم بشرّ الناس؟ قالوا: بلىٰ يا رسول الله قال: من أكل وحده، ومنع رفده، وجلد عبده.

ثم قال ألا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا: بلىٰ. قال: من لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة.

-وفي الأثر: لو تكاشفتم ما تدافنتم.

-وفي أثر:.. خير المال عين ساهرة لعين نائمة. (تجري ليل نهار لصاحبها).

وقال في إناث الخيل: بطونها كنز، وظهورها حرز. (وفي سندها مقال).

-قال بعض الحكماء:

الأدب.. يؤنسكم في الوحشة.

-قال علي:.. ومن استحيا حُرِم، ومن هاب خاب.. ومن كابر في الأمور عطب، ومن اقتحم اللجج غرق.. ومن صاحب الأنذال حُقِر.. ومن دخل مداخل السوء اتّهم.. ومن حسن خلقه سهلت له طرقه.. ومن عرف أجله قصر أمله، ثم أنشأ يقول:

ودع الجواب تفضّلا** وكَلِ الظلوم إلىٰ حسيبه

-وقال شبيب بن شيبة: اطلبوا الأدب فإنه مادة العقل، ودليل علىٰ المروءة، وصاحب في الغربة، ومؤنس في الوحشة.

-قال عبد الملك بن مروان لبنيه: عليكم بطلب الأدب؛ فإنّكم إن احتجتم إليه كان لكم مالا، وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالا.

-قال بعض الحكماء:

اعلم أنّ جاها بالمال إنما يصحبك ما صحبك المال، وجاها بالأدب غير زائل عنك.

-وقال ابن المقفّع: إذا أكرمك الناس لمال أو لسلطان فلا يعجبك ذلك: فإن الكرامة تزول بزوالها، ولكن ليعجبك إذا أكرموك لدين أو أدب.

-وقال الأحنف بن قيس: رأس الأدب المنطق، ولا خير في قول إلا بفعل ولا في مال إلا بجود، ولا في صديق إلا بوفاء، ولا في فقه إلا بورع؛ ولا في صدق إلا بنيّة.

-قال الزبيري:

لا يستغنىٰ الأديب عن ثلاثة واثنين: فأمّا الثلاثة: فالبلاغة والفصاحة وحسن العبارة. وأما الاثنان فالعلم بالأثر والحفظ للخير.

-قالوا: الحسب محتاج إلىٰ الأدب، والمعرفة محتاجة إلىٰ التجربة.

-قال بزرجمهر:

ما ورّث الآباء الأبناء شيئا خيرا من الأدب؛ لأنّ بالأدب يكسبون المال، وبالجهل يتلفونه.

-قال الفضيل:

رأس الأدب معرفة الرجل قدره.

-قالوا:

حسن الخلق خير قرين، والأدب خير ميراث، والتوفيق خير قائد.

-قال سفيان الثّوري: من عرف نفسه، لم يضره ما قال الناس فيه.

-قال أنو شروان للموبَذ، وهو العالم بالفارسية: ما كان أفضل الأشياء؟ قال: الطبيعة النقية تكتفي من الأدب بالرائحة، ومن العلم بالإشارة؛ وكما يموت البذر في السّباخ، كذلك تموت الحكمة بموت الطبيعة.

-قال أردشير:

الأدب زيادة في العقل ومَنْبهة للرأي، ومكسبة للصواب، والطبيعة أمْلَك. (أغلب من الأدب).

-قالوا: الأدب أدبان: أدب الغريزة، وهو الأصل؛ وأدب الرواية، وهو الفرع، ولا يتفرع شيء إلا عن أصله، ولا ينمي الأصل إلا باتصال المادة.

-قال الشاعر:

ولم أر فرعا طال إلا بأصله** ولم أر بدء العلم إلّا تعلّما

-وقال آخر:

ما وهب الله لامريء هبة** أفضل من عقله ومن أدبه

-قال ابن قتيبة: إذا أردت أن تكون أديبا فتفنن في العلوم. (وإذا أردت أن تكون عالمـًا فاطلب فنًّا واحداً).

-قال الشاعر:

رأيت صلاح المرء يصلح أهله**ويفسدهم ربّ الفساد إذا فسد

-قيل: من لا أدب له، لا عقل له.

-قيل لأبي وائل أنت أكبر أم الربيع قال:

أنا أكبر منه سنا، وهو أكبر مني عقلا.

–قال أبان بن عثمان لطويس المغني: أنا أكبر أم أنت؟ قال: جُعلْتُ فداك! لقد شهدت زفاف أمّك المباركة علىٰ أبيك الطيب. (حذقه ورقة أدبه لم يقل أمك الطيبة إلىٰ أبيك المبارك).

–وقيل لعمر بن ذر: كيف برّ ابنك بك؟ قال: ما مشيت نهارا قطّ إلا مشىٰ خلفي، ولا ليلا إلا مشىٰ أمامي ولا رقي علّيّة وأنا تحته.

–وقال عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز: قال لي رجاء بن حيوة: ما رأيت أكرم أدبا، ولا أكرم عشرة من أبيك؛ سمرتُ عنده ليلة، فبينا نحن كذلك إذ عشىٰ المصباح ونام الغلام. فقلت: يا أمير المؤمنين، قد عشىٰ المصباح ونام الغلام، فلو أذنت لي أصلحته! فقال: إنه ليس من مروءة الرجل أن يستخدم ضيفه، ثم حط رداءه عن منكبيه، وقام إلىٰ الدبّة (ظرف للزيت) فصبّ من الزيت في المصباح، وأشخص الفتيلة، ثم رجع.

–العتبي عن أبيه قال: صوّت (ضرط) رجل عند عمر بن الخطاب في المسجد. فلما كانت الصلاة قال عمر: عزمت علىٰ صاحب الصوت إلا قام فتوضأ. فلم يقم أحد. فقال جرير بن عبد الله: يا أمير المؤمنين، اعزم علينا كلّنا أن نقوم فنتوضأ قال: صدقت! ولا علمتك إلا سيّدا في الجاهلية، فقيها في الإسلام، قوموا فتوضؤوا.

–قال الشحام: قلت للحسن: يا أبا سعيد. قال: لبيك. قلت: أتقول لي لبيك؟ قال: إني أقولها لخادمي.

–قال الشاعر:

مخدّمون، كرام في مجالسهم** وفي الرّحال إذا رافقتهم خدم

وما أصاحب من قوم فأذكرهم** إلا يزيدهم حبا إليّ هم

–وذكر الشعبي قوما فقال: ما رأيت مثلهم أسدَّ تناوبا في مجلس، ولا أحسن فهما من محدّث.

–قال الحكماء:

رأس الأدب كلّه حسن الفهم والتفهّم، والإصغاء للمتكلّم.

-قال الشعبي فيما يصف به عبد الملك بن مروان: والله ما علمته إلا آخذا بثلاث، تاركا لثلاث: آخذا بحسن الحديث إذا حدّث، وبحسن الاستماع إذا حُدّث، وبأيسر المؤونة إذا خولف؛ تاركا لمجاوبة اللئيم، ومماراة السفيه، ومنازعة اللجوج.

-قال بعض الحكماء:

يا بنيّ، تعلم حسن الاستماع، كما تتعلم حسن الحديث.

-قال أبو عباد الكاتب في أدب الحديث:

وعرّفه ما في سوء الاستماع من الفسولة.. (عدم المروءة) والحرمان للفائدة.

-قال عليٰ بن أبي طالب رضوان الله عليه: لا يأبىٰ الكرامة إلا حمار.

-قال الحسن:

مجالسة الرجل من غير أن يسأل عن اسمه واسم أبيه، مجالسة النوكىٰ.

-قال شبيب لأبي جعفر:.. إني أحب المعرفة، وأجلّك عن المسألة.

-قال زياد:

إياك وصدور المجالس، وإن صدّرك صاحبها؛ فإنها مجالس قُلَعة (لا يستقر الجالس فيها).

-قال عبد الله بن طاهر لأبي السمراء:

إذا النجيّان سرّا عنك أمرهما*فانزح بسمعك تجهل ما يقولان

. فما رأيت أكرم منه ولا أرفق أدبا، ترك مطالبتي في هفوتي بحق الأمراء، وأدّبني أدب النظراء.

-وفي الأثر:

وإذا أخذ أحدكم عن أخيه شيئا فليقل: لا بك السوء، وصرف الله عنك السوء.

-وقال المهلب بن أبي صفرة: العيش كله في الجليس الممتع.

-قال هشام لابن أخيه كيف وجدت ابن عمك (ولده):.. إن شئت أجملت وإن شئت فسّرت. قال: بل أجمل. قال: عرضت بيننا جادّة فتركها كلّ واحد منا لصاحبه، فما ركبناها حتىٰ رجعنا إليك.

-وقال يحيىٰ بن أكثم: ماشيتُ المأمون يوما من الأيام في بستان مؤنسة بنت المهدي، فكنت من الجانب الذي يستره من الشمس، فلما انتهىٰ إلىٰ آخره وأراد الرجوع. أردت أن أدور إلىٰ الجانب الذي يستره من الشمس، فقال: لا تفعل، ولكن كن بحالك حتىٰ أسترك كما سترتني! فقلت: يا أمير المؤمنين، لو قدرت أن أقيك حرّ النار لفعلت، فكيف الشمس؟ فقال: ليس هذا من كرم الصّحبة. ومشىٰ ساترا لي من الشمس كما سترته.

-وقيل لزياد: إنك تستخلص حارثة بن زيد وهو يواقع الشارب. فقال: وكيف لا أستخلصه، وما سألته عن شيء قطّ، إلا وجدت عنده منه علما، ولا استودعته سرّا قط فضيّعه، ولا راكبني قط فمسّت ركبتي ركبته.

-محمد بن يزيد بن عمر بن عبد العزيز قال: خرجت مع موسىٰ الهادي أمير المؤمنين من جرجان، فقال لي: إمّا أن تحملني وإمّا أن أحملك، فعلمت ما أراد، فأنشدته أبيات ابن صرمة:

أوصيكم بالله أوّل وهلة** وأحسابكم والبرّ بالله أوّلُ

وإن قومكم سادوا فلا تحسدوهمُ** وإن كنتم أهل السّيادة فاعدلوا

وإن أنتم أعوزتم فتعفّفوا** وإن كان فضل المال فيكم فأفضلوا

وإن نزلت إحدىٰ الدّواهي بقومكم** فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا

-راكب سعيد بن سلم لموسىٰ الهادي ومعه ابن مالك فسفىٰ التراب لما حاذاهما، فقال: أما ترىٰ ما نلقىٰ من هذا الخائن؟ قال سعيد: والله يا أمير المؤمنين ما قصّر في الاجتهاد، ولكن حُرِم التوفيق.

❋السلام والإذن:

-دخل ابن مهران علىٰ سليمان بن هشام والي الجزيرة فقال: السلام عليكم. فقال سليمان: ما منعك أن تسلّم بالإمرة؟ فقال: إنما يسلّم علىٰ الوالي بالإمرة إذا كان عنده الناس.

-كان الحسن وإبراهيم وميمون بن مهران يكرهون أن يقول الرجل، حياك الله. حتىٰ يقول السلام.

-وقال رجل لعائشة: كيف أصبحت؟ قالت: بنعمة من الله.

-وقال رجل لشريح: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت طويلا أملي، قصيرا أجلي، سيّئا عملي.

-وقيل لسفيان الثوري: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت في دار حارت فيها الأدلّاء.

❋تأديب الصغير:

-قالت الحكماء: من أدّب ولده صغيرا سُرَّ به كبيرا.

-وقالوا: أطْبَعُ الطين ما كان رطبا، وأعْمَرُ العود ما كان لَدِنا.

-قال ابن عباس: من لم يجلس في الصغر حيث يكره، لم يجلس في الكبر حيث يحبّ.

-قال الشاعر:

إذا المرء أعيته المروءة ناشئا❋❋ فمطلبها كهلا عليه شديد

-وقالوا: ما أشدّ فطام الكبير، وأعسر رياضة الهرم.

-كتب شريح إلىٰ معلم ولده:

ترك الصّلاة لأكْلُبٍ يسعىٰ بها❋❋ يبغي الهراش مع الغواة الرّجّس

فليأتينّك غدوة بصحيفة❋❋ كُتبت له كصحيفة المتلمّس

فإذا أتاك فعضّه بملامة❋❋ وعظه موعظة الأديب الكيّس

فإذا هممت بضربه فبدرّة❋❋ وإذا بلغت ثلاثةً لك فاحبس

واعلم بأنّك ما أتيت فنفسه❋❋ مع ما يجرّعني أعزّ الأنفس

-قال صالح بن عبد القدوس:

ما تبلغ الأعداء من جاهل** ما يبلغ الجاهل من نفسه

-وقال عمرو بن عتبة لمعلّم ولده: ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك نفسك، فإنّ عيونهم معقودة بعينك، فالحَسَن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت؛ علّمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملّوه، ولا تتركهم منه فيهجروه. روّهم من الحديث أشرفه، ومن الشعر أعفّه، ولا تنقلهم من علم إلىٰ علم حتىٰ يُحكموه، فإنّ ازدحام الكلام في القلب مشغلة للفهم. وعلّمهم سنن الحكماء، وجنّبهم محادثة النساء، ولا تتكل علىٰ عذر مني لك، فقد اتكلت علىٰ كفاية منك.

***حب الولد:**

-قال معاوية للأحنف:

ما تقول في الولد؟ قال: ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا.

-قال زيد بن علي لابنه:.. اعلم أن خير الآباء للأبناء من لم يدعه الحبّ إلىٰ التفريط.

-دخل عمرو بن العاص علىٰ معاوية وبين يديه بنته عائشة، فقال: من هذه؟ فقال: هذه تفاحة القلب!.. فو الله ما مرّض المرضىٰ، ولا ندب الموتىٰ، ولا أعان علىٰ الأحزان مثلهن. وربّ ابن أخت قد نفع خاله.

-قال ابن أبي بكرة: موت الولد صدع في الكبد، لا ينجبر آخر الأبد.

-قال عمر لرجل يحمل طفلا:.. إن عاش فتنك، وإن مات حزَنَك.

*** (مرقصات)**

. لفاطمة في الحسين:

وا بأبي شبْهُ النّبي** ليس شبيها بعلي

-الزبير يرقّص عروة ويقول:

أبيض من آل أبي عتيق** مبارك من ولد الصّدّيق

-قال عبد الملك:

أضرّ بنا في الوليد حبّنا له فلم نؤدّبه، وكأن الوليد أدّبنا.

-قال الرشيد لابنه المعتصم: ما فعل وصيفك؟ قال: مات فاستراح من الكتّاب. قال: وبلغ منك الكتّاب هذا المبلغ!. والله لا حضرتَه أبدا. ووجهه إلىٰ البادية فتعلم الفصاحة.

-إبراهيم خليل الرحمن كان من أغير الناس (لما حضره الموت تعلق به إسحاق وجعل يتقطع عليه بكاء. (قال ملك الموت): يا رب، ذبيحك إسحاق متعلق بخليلك! فأمهله حتىٰ نام وقبضه.

-قال الشاعر: من كان ذا عضُد يدرك ظلامته** إنّ الذليل الذي ليست له عضد

-العتبي قال: لما أسنّ أبو براء عامر بن مالك، وضعّفه بنو أخيه، وخرّفوه، ولم يكن له ولد يحميه، أنشأ يقول:

دفعتكم عنّي وما دفع راحة** بشيء إذا لم تستعن بالأنامل

يضعّفني حلمي وكثرة جهلكم** عليّ وأني لا أصول بجاهل

***التجارب والتأدب بالزمان:**

-قالت الحكماء: كفىٰ بالتجارب تأديبا، وبتقلب الأيام عظة.

-وقالوا: كفىٰ بالدهر مؤدّبا، وبالعقل مرشدا.

-قال أبو تمام:

أحاولت إرشادي فعقلي مرشدي** أم اسْتَمْتَ تأديبي فدهري مؤدّبي

-قال ابن شَكْلة:

من لم يؤدّبه والداه** أدّبه الليل والنهار

-وقال آخر:

وما أبقت لك الأيام عذرا** وبالأيام يتّعظ اللبيب

***صحبة الأيام بالموادعة:**

-قالت الحكماء: اصحب الأيام بالموادعة، ولا تسابق الدهر فتكبو.

-وقال آخر:

تحامق مع الحمقىٰ إذا ما لقيتهم** ولاقهم بالجهل فعل ذوي الجهل

فإني رأيت المرء يشقىٰ بعقله** كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل

-وقال الآخر:

إن المقادير إذا ساعدت** ألحقت العاجز بالحازم

-من أمثالهم: تطامَن لها تخطُك.

-قال حبيب:

وكانت لوعة ثم اطمأنّت** كذاك لكلّ سائلة قرار

-وقال:

ماذا يريك الدهر من هوانه** ازفن لقرد السّوء في زمانه

-ولآخر:

الدهر لا يبقىٰ علىٰ حالة** لا بدّ أن يقبل أو يدبر

-ولآخر:

فرحا وحزما مرة** لا الحزن دام ولا السّرور

تروح لنا الدّنيا بغير الذي غدت** وتحدث من بعد الأمور أمور

وتطمع أن يبقىٰ السّرور لأهله** وهذا محال أن يدوم سرور

-ولآخر:

سأنتظر الأيام فيك لعلّها** تعود إلىٰ الوصل الذي هو أجمل

***التحفظ من المقالة القبيحة:**

-قالت الحكماء: إياك وما يُعْتذَر منه.

-وقالوا:

من عرّض نفسه للتهم، فلا يأمن من إساءة الظن.

-وقالوا: حسبك من شرّ سماعه.

-وقال آخر:

قد قيل ذلك إن حقّا وإن كذبا** فما اعتذارك من قول إذا قيلا

-قال أرسطاطاليس للإسكندر:.. فاحترس من أن يقولوا؛ تسلمْ من أن يفعلوا.

-وقال الأخطل:

والقول ينفذ ما لا تنفذ الإبر

***الإذن في القُبلة:**

-قال أبو بكر الهجري للمنصور:.. يا أمير المؤمنين، نغض فمي، وأنتم أهل بيت بركة، فلو أذنت لي فقبّلت رأسك لعلّ الله كان يمسك علي ما بقي من أسناني. قال: اختر بينها وبين الجائزة. فقال: يا أمير المؤمنين، إن أهون عليّ من ذهاب درهم من الجائزة ألّا تبقىٰ في فمي حاكةّ. فضحك المنصور وأمر له بجائزة.

***أدب العيادة:**

-مرض أبو عمرو بن العلاء، فدخل عليه رجل من أصحابه، فقال له: أريد أن أساهرك الليلة. قال له: أنت معافىٰ وأنا مبتلىٰ، فالعافية لا تدعك أن تسهر، والبلاء لا يدعني أن أنام. وأسأل الله أن يهب لأهل العافية الشكر، ولأهل البلاء الصبر.

-قال كثير عزة للأمير في مرضه:

لو كان يقبل فدية لفديته** بالمصطفىٰ من طارفي وتلادي

-وكتب أديب إلىٰ عليل:

نبّئت أنّك معتلّ فقلت لهم** نفسي الفداء له من كلّ محذور

يا ليت علّته بي ثمّ كان له** أجر العليل وأنّي غير مأجور

-مرض شاعر فلم يفتقده يحيىٰ بن خالد، فلما شفي كتب أبياتا معاتبا فرد عليه الوزير:

أشهد الله ما علمت وماذا** ك من العذر جائزا مقبولا

-وكتب المعتصم إلىٰ ابن طاهر:

أعزز عليّ بأن أراك عليلا** أو أن يكون بك السّقام نزيلا

فوددت أنّي مالك لسلامتي** فأعيرها لك بكرة وأصيلا

فتكون تبقىٰ سالما بسلامتي** وأكون ممّا قد عراك بديلا

هذا أخ لك يشتكي ما تشتكي** وكذا الخليل إذا أحبّ خليلا

-وقال الشاعر:

لا تبرمنّ مريضا في مساءلة** يكفيك من ذاك تسآل بحرفين

-وقال بكر بن عبد الله لقوم عادوه في مرضه فأطالوا الجلوس عنده: المريض يُعاد، والصحيح يُزار.

-قال سفيان الثوري: حُمقُ العوّاد، أشدّ علىٰ المرضىٰ من أمراضهم: يجيئون في غير وقت، ويطيلون الجلوس.

-قال عمر بن عبد العزيز لرجل عاده: إذا عدت المرضىٰ فلا تنع إليهم الموتىٰ، وإذا خرجت عنا فلا تعد إلينا.

-قال ابن عباس:

إذا دخلتم علىٰ الرجل وهو في الموت، فبشّروه ليلقىٰ ربّه وهو حسن الظن.

-ومرض الأعمش فأبرمه الناس بالسؤال عن حاله، فكتب قصته في كتاب وجعله عند رأسه.

-مرض ابن طاهر فكتب لأخيه معاتبا فرد عليه:

منعتني عليك رقّة قلبي** من دخولي إليك في العوّاد

لو بأذني سمعت منك أنينا** لتفرّىٰ مع الأنين فؤادي

-قال محمد بن عبد الله للمتوكل في شكاة له:

فما أبالي إذا ما نفسه سلمت** لو باد كلّ عباد الله وانقرضوا

-وقال آخر في أمير:

واعتلّ فاعتلّت الدنيا لعلّته** واعتلّ فاعتلّ فيه البأس والكرم

-بلغ مجنون مرض ليلىٰ في العراق:

شفىٰ الله مرضىٰ بالعراق فإنّني** علىٰ كلّ شاك بالعراق شفيق

-ولابن طاهر:

فيا مريض الجفون أحْيِ فتىٰ** قتلتَه بالجفون لا بيدك

-وللعباس بن الأحنف:

قالت مرضت فعدتها فتبرّمت** وهي الصحيحة والمريض العائد

-أنشد ابن يزيد المبرد لعلية المهدية:

تمارضتِ كي أشجىٰ وما بكِ علّة** تريدين قتلي قد ظفرت بذلك

لئن ساءني أن نلتني بمساءة** لقد سرّني أنّي خطرت ببالك

-قال ابن الدمينة:

قفي يا أميم القلب نقضي لبانة** ونشك الهوىٰ ثم افعلي ما بدا لك

-قال المصنف:

روح الندىٰ بين أثواب العلا وصِب** يعتنّ في جسد للمجد موصوب

-وقال:

روح من المجد في جثمان مكرمة** كأنما الصبح من خدّيه ينفجر

-وقال أيضا:

ما تشتكي علة في الدهر واحدة** إلا اشتكىٰ الجود من وَجْدٍ بها عللا

***أدب الاعتناق:**

-استأذن ابن عيينة علىٰ مالك. فقال مالك: رجل صالح، صاحب سنّة؛ أدخلوه.. فصافحه وقال:

لولا أنها بدعة لعانقناك.

***باب الأدب في إصلاح المعيشة:**

-قالوا: من أشبع أرضه عملا، أشبعت بيته خبزا.

-وقالوا: يقول الثوب لصاحبه: أكرمني داخلا، أكرمك خارجا.

-قالت عائشة: المغزل بيد المرأة، أحسن من الرمح بيد المجاهد في سبيل الله.

-قال أبو بكر لغلام يتّجر بالثياب: إذا كان الثوب سابغا فانشره وأنت قائم، وإذا كان قصيرا فانشره وأنت جالس، وإنما البيع مِكَاس. (مفاصلة).

-قال عبد الملك بن مروان:

من كان في يده شيء فليصلحه، فإنه في زمان إن احتاج فيه، فأول ما يبدل دينه.

***أدب المؤاكلة:**

-قال أمير البصرة للجارود أتحضر طعام.. الشيخ؟ يعني ابن عامر. قال: فصفه.. قال:.. يؤتىٰ بثريدة شهباء من الفلفل، رقطاء من الحمّص، ذات حفافين من العُراق (العظم بلحمه).. قال ابن أبي بردة: لله در عبد الأعلىٰ، ما أربط جأشه، علىٰ وقع الأضراس.

-قال أعرابي:

وللموت خير من زيارة باخل** يلاحظ أطراف الأكيل علىٰ عمد

-قال أبو بكر بن عبد الله: أحق الناس بلطمة، من أتىٰ طعاما لم يدع إليه، وأحق الناس بلطمتين، من يقول له صاحب البيت: اجلس ها هنا. فيقول: لا، ها هنا، وأحق الناس بثلاث لطمات، من دعي إلىٰ طعام فقال لصاحب المنزل: ادع ربة البيت تأكل معنا.

-قال الجاحظ: لا ينبغي للفتىٰ أن يكون مُكْحَلا؛ ولا مقبّبا، ولا مكوكبا، ولا شُكامدا، ولا حُرامدا، ولا تُقامدا.. (المكحل يمص العظم، المقبب يبني من اللحم قبة، المكوكب يبصق في الطست). والحرامد الذي يأتي في وقت الغداء والعشاء فيقول: ما تأكلون؟ فيقولون من بغضه: سمّا! فيدخل يده ويقول: في حرامّ العيش بعدكم.

***أدب الملوك:**

-دخل ابن عباس علىٰ معاوية وعنده زياد.. فقال له ابن عباس: كيف حالك.. كأنك أردت أن تحدث بيننا وبينك هَجْرَة؟ فقال: لا، ولكنه لا يُسلّم علىٰ قادم بين يدي أمير المؤمنين. قال ابن عباس: ما ادكرتُ الناس، إلا وهم يسلمون علىٰ إخوانهم بين يدي أمرائهم. فقال له معاوية: كفّ عنه يا بن عباس، فإنك لا تشاء أن تغِلب إلا غلبتَ.

-قال عبد الملك:.. أربعة لا يُستحىٰ من خدمتهم: الإمام، والعالم، والوالد، والضعيف.

-قال أصحاب معاوية لمعاوية: إنا ربما جلسنا عندك فوق مقدار شهوتك، فأنت تكره أن تستخفّنا فتأمرنا بالقيام، ونحن نكره أن نثقل عليك في الجلوس، فلو جعلت لنا علامة نعرف بها ذلك؟ فقال: علامة ذلك أن أقول: إذا شئتم.

-وما سمعتُ بألطف معنىٰ، ولا أكمل أدبا، ولا أحسن مذهبا في مساءلة الملوك من شبيب بن شيبة وقوله لأبي جعفر: أصلحك الله، إني أحب المعرفة وأجلك عن السؤال. فقال له: فلان بن فلان.

❋الكناية والتعريض:

-قيل لعمر بن عبد العزيز وقد نبت به حَبَن(داء) في إبطه، أين نبت بك هذا الحبن؟ قال: تحت منكبي.

-وقال تعالىٰ: وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلىٰ جَناحِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ. فكنّىٰ عن البرص.

-دخل ابن زياد علىٰ النعمان وبه وَضَح، فقال: ما هذا البياض بك؟ فقال: سيف الله جلاه.

-ودخل حارثة بن بدر علىٰ زياد وفي وجهه أثر، فقال زياد: ما هذا الأثر الذي في وجهك؟ قال: ركبت فرسي الأشقر فجمح بي. فقال: أما إنك لو ركبت الأشهب لما فعل ذلك. فكنىٰ حارثة بالأشقر عن النبيذ، وكنىٰ زياد بالأشهب عن اللبن.

-سأل معاوية الأحنف عن قول الشاعر:

إذا ما مات ميت من تميم❋❋ وسرّك أن يعيش فجيء بزاد

بخبز أو بتمر أو بسمن❋❋ أو الشّيء الملفّف في البجاد

تراه يطوف في الآفاق حرصا** ليأكل رأس لقمان بن عاد

ما هذا الشيء الملفف في البجاد؟ قال الأحنف: السخينة(تشبه العصيدة).

-لما عزل عثمان عمرا عن مصر قال:

يا عمرو، أشعرت أن اللّقاح درّت بعدك ألبانها؟ فقال: لأنكم أعجفتم أولادها.

فكنّىٰ عثمان عن خراج مصر باللّقاح، وكنّىٰ عمرو عن جور الوالي بعده.

-وكان في المدينة رجل يسمىٰ جعدة، يرجّل شعره ويتعرّض للنساء المعزبات، فكتب رجل من الأنصار كان في الغزو إلىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

ألا أبلغ أبا حفص رسولا**فدىً لك من أخي ثقة إزاري

قلائصنا هداك الله إنّا** شغلنا عنكم زمن الحصار

يعقّلهنّ جعد شيظميّ** وبئس معقّل الذّود الظّؤار

(شيظمي فتىٰ الإبل، الذود عدد من الإبل، الظؤار المرضعات).

فكنىٰ بالقلائص عن النساء، وعرّض برجل يقال له جعدة. فسأل عنه عمر فدلّ عليه، فجزّ شعره ونفاه عن المدينة.

-سمع عمر بن الخطاب امرأة في الطواف تقول:

فمنهنّ من تُسقىٰ بعذب مبرّد** نقاخ فتلكم عند ذلك قرّت

ومنهنّ من تُسقىٰ بأخضر آجن** أجاج ولولا خشية الله فرّت

(النقاخ خالص الشيء)

ففهم شكواها، فبعث إلىٰ زوجها فوجده متغيّر الفم، فخيّره بين خمسمائة درهم وطلاقها. فاختار الدراهم، فأعطاه وطلّقها.

-ودخل علىٰ زياد رجل من أشراف البصرة، فقال. أين مسكنك من البصرة؟ قال: في وسطها.. ومنزلي بين المدينة والجبّانة؛ فأنا بين الأحياء والأموات، فمنزلي في وسط البصرة. قال: صدقت.

-من تعريض الشعبي: أصلح الله الأمير، نبا المنزل، وأحزن بنا الجناب، واستحلسْنا (لازمنا) الخوف، واكتحلنا السهر، وخبطتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء. قال: صدق.

-قال بعض النساك لخليفة دعاه للطعام: الصائم لا يأكل يا أمير المؤمنين، وما أزكّي نفسي، بل الله يزكّي من يشاء. وإنما كره طعامه.

-ابن عرباض قال للخوارج: هل خرج إليكم في اليهود شيء؟ قالوا: لا... فمضوا وتركوه.

-قال ابن عقبة علىٰ منبر الكوفة: أقسم علىٰ من سمّاني أشعرَ بَرْكا إلا قام. (كثير شعر الصدر).. فقام إليه رجل فقال: ومن هذا الذي يقوم إليك فيقول.. وكان هو الذي سماه بذلك.

-أتي ابن الهيثم بغلام سكران فقال من أنت؟ فقال:

أنا ابن الذي لا ينزل الدهرَ قدرُه**وإن نزلت يوما فسوف تعود

ترىٰ الناس أفواجا إلىٰ ضوء ناره** فمنهم قيام عندها وقعود

فظنه ولدا لبعض الأشراف، فأمر بتخليته، فلما كشف عنه قيل له: إنه ابن باقلّائي (الفوّال).

-ودخل رجل علىٰ عيسىٰ بن موسىٰ وعنده ابن شبرمة القاضي، فقال له: أتعرف هذا الرجل؟ وكان رُمي عنده بريبة: فقال: إن له بيتا وقدما وشرفا. فخلّىٰ سبيله.

فلما انصرف ابن شبرمة قال له أصحابه: أكنت تعرف هذا الرجل؟ قال: لا، ولكني عرفت أن له بيتا يأوي إليه، وقدما يمشي عليها، وشرفه أذناه ومنكباه.

-وخطب رجل لرجل إلىٰ قوم، فسألوه: ما حرفته؟ فقال: نخاس الدواب. فزوّجوه، فلما كشف عنه وجدوه يبيع السنانير؛ فلما عنّفوه في ذلك قال: أوَ السّنانير دوابّ؟ ما كذبتكم في شيء.

-قال المعلىٰ الطائي لابن السري في مرضه:

لأرتحلنّ العيس شهرا بحجّة** وأعتق شكرا سالما وصفاء

. فلما خرج قال أصحابه: والله ما نعلم عبدك سالما، ولا عبدك صفاء، فمن أردت أن تعتق؟ قال: هما هرّتان عندي. (تسمية القطط، وأسماء بنات: مُنْية ومؤنسة).

-ومرض زياد، فدخل عليه شريح القاضي يعوده، فلما خرج بعث إليه مسروق بن الأجدع يسأله: كيف تركت الأمير؟ قال: تركته يأمر وينهىٰ. فقال مسروق: إن شريحا صاحب تعريض، فاسألوه. فسألوه. قال: تركته يأمر بالوصية، وينهىٰ عن البكاء.

-وكان سنان بن مكمّل النّميري يساير عمر بن هبيرة الفزاري يوما علىٰ بغلة فقال له ابن هبيرة: غضّ من عنان بغلتك. فقال: إنها مكتوبة، أصلح الله الأمير. أراد ابن هبيرة قول جرير:

فغضّ الطرف إنك من نمير** فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وأراد سنان قول الشاعر:

لا تأمننّ فزاريّا خلوت به** علىٰ قلوصك واكتبها بأسيار

-ومر رجل من بني نمير برجل من بني تميم علىٰ يده باز، فقال التميمي للنّميري: هذا البازي؟ قال له النّميري: نعم، وهو يصيد القطا. أراد التميميّ قول جرير:

أنا البازي المُطل علىٰ نمير** أُتِحْت له من الجوّ انصبابا

وأراد النميري قول الطّرمّاح:

تميم بطرق اللّؤم أهدىٰ من القطا** ولو سلكت سبل المكارم ضلّتِ

-ودخل رجل من محارب علىٰ عبد الله بن يزيد الهلالي وهو والي أرمينية، وقريب منه غدير فيه ضفادع، فقال عبد الله بن يزيد: ما تركتنا شيوخ محارب ننام الليلة! فقال له المحاربي: أصلح الله الأمير، أو تدري لم ذلك؟ قال: ولم؟ قال: لأنها أضلت برقعا لها. قال قبّحك الله، وقبّح ما جئت به، أراد ابن يزيد الهلالي قول الأخطل:

تنقُّ بلا شيء شيوخ محارب** وما خِلتُها كانت تريش ولا تبري

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت** فدلّ عليها صوتها حيّة البحر

وأراد المحاربي قول الشاعر:

لكلّ هلاليّ من اللّؤم برقع** ولابن هلال برقع وقميص

-وقال معاوية لعبد الرحمن بن الحكم: استعرض لي هذين الفرسين فقال: أحدهما

أجش والآخر هزيم. يعني قول النّجاشي:

ونجّىٰ ابن هند سابح ذو عُلالة** أجشّ هزيم والرّماح دواني

فقال معاوية: أما إنّ صاحبها علىٰ ما فيه لا يشبّب بكنائنه. وكان عبد الرحمن يرمىٰ بكنّته.

-وقال أعرابي لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين، احملني وسحيما علىٰ جمل. فقال: نشدتك الله يا أعرابي، أسحيم هذا زق؟ قال: نعم. ثم قال: من لم ينفعه ظنّه لم ينفعه يقينه.

-ودّع رجل رجلا يبغضه فقال:.. رفع الله مكانك، وشدّ ظهرك، وجعلك منظورا إليك.

-كان ابن أبي عتيق صاحب هزل ولهو، وله امرأة من أشراف قريش فكتبت شعرا للجارية تغنيه:

ذهب الإله بما تعيش به** وقَمِرْتَ لُبّك أيّما قمْرِ (غلبت)

أنفقت مالك غير محتشم** في كلّ زانية وفي الخمر

(كتب الأبيات والتقىٰ بابن عمر وقال ما ترىٰ فيمن هجاني بهذا.. قال ابن عمر أرىٰ أن تعفو وتصفح. قال: أما والله لئن لقيته لأنيكنه. فأخذ ابن عمر يزجره.. ورأىٰ ابن عمر بعد أيام وقال له فعلت لقيت قائل الشعر ونكته، فصعق ابن عمر.. فقال: أصلحك الله إنها امرأتي).

***باب الصمت:**

-قال لقمان: الصمت حُكْم، وقليل فاعله.

-قال كاتب المهدي:

كن علىٰ التماس الحظ بالسكوت، أحرص منك علىٰ التماسه بالكلام؛ إن البلاء موكّل بالمنطق.

-قال أبو الدرداء: أنصِفْ أذنيك من فيك.

-قال المهلب:

لأن أرىٰ لعقل الرجل فضلا علىٰ لسانه، أحب إلي من أرىٰ للسانه فضلا علىٰ عقله.

-قال: سالم بن عبد الملك: فضل العقل علىٰ اللسان مروءة، وفضل اللسان علىٰ العقل هُجْنة.

-وقالوا:.. من ساء خلقه قلّ صديقه.

-قال هرم بن حيان:

صاحب الكلام بين منزلتين: إن قصّر فيه خُصِم، وإن أغرق فيه أثِم.

-قال أكثم بن صيفي:

مقتل الرجل بين فكّيه.

-قال الشاعر:

الحلم زين والسّكوت سلامة** فإذا نطقت فلا تكن مكثارا

ما إن ندمت علىٰ سكوتي مرّة** إلا ندمت علىٰ الكلام مرارا

-قال ابن هانئ:

إنما السالم من ألج** م فاه بلجام

-وقال رجل لعمر بن عبد العزيز: متىٰ أتكلم؟ قال: إذا اشتهيت أن تصمت. قال: فمتىٰ أصمت؟ قال: إذا اشتهيت أن تتكلم.

-وسمع عبد الله بن الأهتم رجلا يتكلم فيخطيء، فقال: بكلامك رُزِق الصمتُ المحبة.

***المنطق:**

-أعدل شيء في الصمت والمنطق قولهم: الكلام في الخير كلّه أفضل من الصمت.

-قال ابن المبارك يرثي مالك بن أنس:

صموت إذا ما الصّمت زيّن أهله٭٭ وفتّاق أبكار الكلام المختّم

وعىٰ ما وعىٰ القرآنُ من كلّ حكمة٭٭ وسيطت له الآداب باللحم والدّم

-قالوا: ما شيء ثُنِي إلا قَصُر، إلا الكلام فإنه كلما ثني طال.

-قال الشاعر:

الصمت شيمته فإن٭٭ أبدىٰ مقالا كان فصلا

أبدىٰ السكوت فإن تكلّم٭٭ لم يدع في القول فضلا

٭ الفصاحة:

-قال ابن سيرين: ما رأيت علىٰ امرأة أجمل من شحم، ولا رأيت علىٰ رجل أجمل من فصاحة.

٭آفات المنطق: تكلم ابن السماك يوما وجارية له تسمع كلامه، فلما دخل قال لها: كيف سمعت كلامي؟ قالت: ما أحسنه لولا أنك تردّده. قال: أردّده ليفهمه من لم يفهمه. قالت: إلىٰ أن يفهمه من لم يفهمه يملّه من فهمه.

-قال معاوية يوما لجلسائه: أيّ الناس أفصح؟.. فقال رجل.. قومك.. قريش.

-قال الأصمعي: جَرْم فصحاء الناس.

-ذكر ابن يزيد النحوي

التمتمة (تردد في التاء) / والعُقْلة (التواء اللسان) / الحُبْسة (تعذر الكلام) / اللّفف (إدخال حرف في حرف) / الرّتة (الرتج) (من عيوب الكلام).

-قال عنترة:

وصاحبٍ ناديته فغمغما٭٭ يريد لبّيك وما تكلّما

-اللُّكنة: أن تعترض عند الكلام اللغة الأعجمية.

-اللُّثغة / الغنّة / الخنة / الترخيم / الفأفأة.

-رجل فأفاء، تقديره فاعال ونظيره ساباط، وخاتام.

-قال الراجز:

يا ميّ ذات الجورب المنشقّ** أخذت خاتامي بغير حقّ

-وقال آخر:

ليس بفأفاء ولا تمتام** ولا محبّ سقط الكلام

-كشكشة تميم قال راجزهم:

هل لك أن تنتفعي وأنفعش** وتُدْخلي الذي معي في اللذْمَعَش

-وكان صهيب أبو يحيىٰ رحمه الله يرتضخ لكنة رومية.

-وكان عبيد الله بن زياد يرتضخ لكنة فارسية.

-وكان زياد الأعجم، يرتضخ لكنة أعجمية، وأنشد:

فتىٰ زاده السّلتان في الحمد رغبة** إذا غيّر السّلتان كلّ خليل

يريد: السلطان

-وأما الغنة فتستحسن من الجارية الحديثة السن.

-قال ابن الرقاع في الظبية:

تزجي أغنّ كأنّ إبرة روقه** قلم أصاب من الدّواة مدادها

-قال ابن المقفع:

إذا كثر تقليب اللسان رقّت حواشيه، ولانت عذبته.

-قال العتابي:

إذا حُبِس اللسان من الاستعمال؛ اشتدّت عليه مخارج الحروف.

-قال الراجز:

كأنّ فيه لففا إذا نطق** من طول تحبيس وهمّ وأرق

-قال الشعبي لقوم من الموالي يتذاكرون النحو:

لئن أصلحتموه، إنكم لأول من أفسده.

-قال الحجاج لابن يعمر:

أتسمعني ألحن؟ قال: ألا ربما سبقك لسانك ببعضه في آن وآن. قال: فإذا كان ذلك فعرّفني.

-قال المأمون للمنقري: بلغني أنك أمي.. لا تقيم الشعر.. تلحن.. فقال:.. كان النبي أميا.. لا ينشد الشعر.. قال المأمون:

سألتك عن ثلاث عيوب فيك فزدتني عيبا رابعا، وهو الجهل.. يا جاهل، إن ذلك في النبي صلّىٰ الله عليه وسلم فضيلة، وفيك وفي أمثالك نقيصة، وإنما منع ذلك النبي صلّىٰ الله عليه وسلم لنفي الظّنّة عنه، لا لعيب في الشعر والكتاب، وقد قال تبارك وتعالىٰ: وَما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ (يقصد الأمية)

-قال عبد الملك بن مروان:

الإعراب جمال للوضيع، واللحن هجنة علىٰ الشريف وقال: تعلموا النحو كما تتعلمون السنن والفرائض.

-وقال رجل للحسن: إن لنا إماما يلحن. قال: أميطوه عنكم، فإن الإعراب حِلْية الكلام.

-وكان عمر بن عبد العزيز جالسا عند الوليد بن عبد الملك، وكان الوليد لحّانا، فقال: يا غلام، ادع لي صالح. فقال الغلام: يا صالحا. قال له الوليد: انقص ألفا. فقال عمر: وأنت يا أمير المؤمنين فزد ألفا.

-وقال عبد الملك بن مروان: أضرّ بنا في الوليد حبّنا له؛ فلم نلزمه البادية.

-وقد يستثقل الإعراب في بعض المواضع، كما يستخف اللحن في بعضها.

-قال مالك الفزاري:

منطق بارع ويلحن أحيا** نا وخير الكلام ما كان لحنا

وذلك أنه من حكىٰ نادرة مضحكة، وأراد أن يوفي حروفها حظّها من الإعراب، طمس حسنها وأخرجها عن مقدارها.. مزيد المديني أكل طعاما فكظه. وقيل له:

ألا تقيء؟ فقال: وما أقي(أقيء)، خبز نقي ولحم طري! مرتي طالق، لو وجدت هذا قيئا لأكلته.

قال: يُستقبح الإعراب في غير موضعه.. كما اسُتقبح من عيسىٰ بن عمر قوله (أثناء جلد ابن هبيرة له).. والله إن كانت إلا أثيّابا(تصغير ثياب) في أسيفاط قبضها عشّاروك.

-وقال بعض المعربين لجاريته التي غنته ولحنت فقال:

من أخرَىٰ يا فاعلة، أما علّمتك أنّ (من) تخفض؟.

-وقال رجل لشريح: ما تقول في رجل توفّي وترك أبا وأخيه؟ فقال له: أباه وأخاه. فقال: كم لأباه وأخاه؟ قال: لأبيه وأخيه. قال: أنت علّمتني، فما أصنع؟. -وقال شاعر في رجل من المتفصّحين في عينه ووجه تشويه:

لقد كان في عينيك يا حفص شاغل** وأنف كمثل الطّود عما تتبّع

تتبّع لحنا من كلام مرقّش** وخلقك مبنيّ من اللحن أجمع

فعينك إقواء وأنفك مُكَفأ** ووجهك إيطاء فما فيك مرقع

-كان أبو حنيفة لحانا، علىٰ أنه كان في الفتيا ولطف النظر واحد زمانه... وسأله رجل يوما فقال له: ما تقول في رجل تناول صخرة فضرب بها رأس رجل فقتله، أتقِيدُه به؟ قال: لا، ولو ضربه بأبا قبيس(أبي قبيس).

-وكان بشر المريسيّ يقول لجلسائه: قضىٰ الله لكم الحوائج علىٰ أحسن الوجوه وأهنؤها (أهنئها). فسمع قاسم التّمّار قوما يضحكون، فقال: هذا كما قال الشاعر:

إنّ سليمىٰ والله يكلؤها** ضنّت بشيء ما كان يرزؤها

واحتجاجه لبشر أعجب من لحن بشر.

-ودخل شبيب بن شيبة علىٰ إسحاق بن عيسىٰ يعزيه عن طفل أصيب به؛ فقال في بعض كلامه: أصلح الله الأمير، إنّ الطفل لا يزال محبنطيا علىٰ باب الجنة يقول: لا أدخل حتىٰ يدخل أبواي. قال إسحاق بن عيسىٰ: سبحان الله! ماذا جئت به؟ إنما هو محبنطي؛ أما سمعت قول الراجز:

إنّي إذا أنشدت لا أحبنطي** ولا أحب كثرة التمطّي

قال شبيب: ألي يقال مثل هذا وما بين لابتيها أعلم مني بها! فقال له إسحاق: وهذه أيضا، أللبصرة لابتان يالكع! فأبان بتقريعه عواره فأخجله، فسكت.

المحبنطي: الممتنع امتناع طلب لا امتناع إباء.

❋نوادر الكلام:

يقال ماء نقاخ، للماء العذب. وماء فرات، وهو أعذب العذب. وماء قُعاع وهو شديد الملوحة. وماء حُراق، وهو الذي يحرق من ملوحته. وماء شَروب، وهو دون العذب قليلا وماء مَسُوس، وهو دون الشروب. وماء شريب، وهو دون العذب.

-أنشد المفضل بحضور الأصمعي عند الخليفة: تُصْمِتُ بالماء تولبا جذعا

فقال الأصمعي: تولبا جدعا. والجدع السيء الغذاء. فضجّ المفضل وأكثر. فقال له الأصمعي: لو نفخت في الشّبّور (البوق) ما نفعك. تكلم بكلام النّمل وأَصِبْ.

-قال ابن أبي حفصة في رواة الشعر:

زوامل للأشعار لا علم عندهم❋❋ بجيّدها إلّا كعلم الأباعر

لعمرك ما يدري البعير إذا غدا❋❋ بأوساقه أوراح ما في الغرائر

(الأوساق: الأحمال. والغرائر جمع غريرة أي فقدان التجربة)

❋نوادر النحو:

-قال الخليل بن أحمد: أنشدني أعرابي:

وإنّ كلابا هذه عشر أبطن❋❋ وأنت بريء من قبائلها العشر

قال: فجعلت أعجب من قوله «عشر أبطن» فلما رأىٰ عجبي قال: أليس هكذا قول الآخر:

وكان مِجَنّي دون من كنت أتّقي❋❋ ثلاث شخوص كاعبان ومُعْصِر (الشابة)

-وقال أبو زيد: قلت للخليل: لم قالوا في تصغير واصل: أويصل، ولم يقولوا وويصل؟ قال: كرهوا أن يشبّه كلامهم بنبيح الكلاب.

-وقال أبو الأسود الدؤلي: من العرب من يقول: لولاي لكان كذا وكذا. وقال الشاعر:

وكم موطن لولاي طحت كما هوىٰ❋❋ بأجرماه من قنّة النّيق مُنْهوي (قمة الجبل)

وكذلك «لولا أنتم، ولولاكم»: ابتداء وخبره محذوف.

-وقال أبو زيد النحوي: وراء وقدّام لا يصرفان لأنهما مؤنثان؛ وتصغير قدّام قديدمة، وتصغير وراء وريئة.

-قال أبو حاتم:.. مأموم، إذا شجّ أم رأسه. ورجل مموم. إذا أصابه الموم (الحمىٰ).

-قال المازني:

يقال في حسب الرجل أُرْفة ووصْمة وأُبْنة (عيب).

-قال الشاعر (تقديم وتأخير):

شرَّ يوميها وأخزاه لها** ركبت هند بحدج جملا (قدّم الظرف)

-وقد يسمّىٰ الشيء باسم الشيء إذا جاوره: قال الفرزدق:

أخذنا بآفاق السماء عليكم** لنا قمراها والنجوم الطوالع

قوله: لنا قمراها، يريد الشمس والقمر.

-وكذلك قول الناس العمرين: أبي بكر وعمر.

-الرياشي: يقال: أخذ قِضّتَها وكعبتها، إذا أخذ عُذْرتها.

-قال أبو عبيدة: المعيون: الذي له منظر ولا مخبر. والمعين: الذي قد أصيب بالعين. والمعين: الماء الظاهر.

-وقال: سمعت رؤبة يقول: أنا ريّق، يريد علىٰ الريق.

-الأصمعي قال: لقي أبو عمرو بن العلاء عيسىٰ بن عمر؛ فقال له: كيف رحلك؟

قال: ما تزداد إلا مَثالة (فضل وحسن حال). قال: فما هذه المعيوراء التي تركض؟ يريد: ما هذه الحمير التي تركب؟.

يقال: معيوراء، ومشيوخاء، ومعوداء. وقال الفرزدق:

وما شبق القيسيّ من ضعف عقله** ولكن طفت علماء قلفة خالد

أراد: علىٰ الماء، فحذف.

-قال أبو زيد الأنصاري:

قلتم له اهج تميما لا أبا لكم** في فمّ قائل هذا التّرب والحجر

فإنّ بيت تميم ذو سمعت به** بيت به رأست في عزّها مضر

«ذو» هنا في مكان «الذي» لا يتغير عن حاله في جميع الإعراب؛ وهذه لغة طيء، تجعل «ذو» في مكان «الذي».

-وقال الحسن بن هانئ:

حبّ المدامة ذو سمعت به** لم يبق فيّ لغيرها فضلا

-وبعض العرب يقول: «لا أباك» في مكان «لا أبا لك» مضافا؛ ولذلك ثبتت الألف، ولو كانت غير معربة لقلت «لا أب لك» بغير ألف. وليس في الإضافة شيء يشبه هذا، لأنه حال بين المضاف والمضاف إليه.

-وقال آخر:

وقد مات شمّاخ ومات مزرّد** وأيّ كريم لا أباك مخلّد

-وأنشد الفراء لابن مالك العقيلي:

إذا أنا لم أومن عليك ولم يكن** لقاؤك إلّا من وراء وراء

هذا مثل قولهم: بين بين.

-وقال الفرزدق:

وإذا الرّجال رأوا يزيد رأيتهم** خضع الرّقاب نواكس الأبصار

قال أبو العباس محمد بن يزيد النحوي: في هذا البيت شيء مستظرف عند أهل النحو. وذلك أنه جمع «فاعل» علىٰ فواعل وإذا كان هذا، لم يكن بين المذكر والمؤنث فرق؛ لأنك تقول: ضاربة وضوارب، ولا يقال في المذكر فواعل إلا في موضعين، وذلك

قولهم فوارس وهوالك، ولكنه اضطر في الشعر فأخرجه عن الأصل، ولولا الضرورة ما جاز له.

-وقال أبو غسان رفيع بن سلمة تلميذ أبي عبيدة المعروف بدَماذ يخاطب أبا عثمان النحوي المازنيّ:

تفكّرت في النّحو حتّىٰ ملل** ت وأتعبت نفسي له والبدن

فقد خفت يا بكر من طول ما** أفكر في أمر «أن» أن أجن

***الغريب والتعقيب:**

-دخل أبو علقمة علىٰ أعْيَن الطبيب، فقال:.. أكلت من لحوم هذه الجوازل، فطسئت طسأة، فأصابني وجع بين الوابلة ودأية العنق، فلم يزل ينمو ويربو حتىٰ خالط الخلب والشراسيف؛ فهل عندك دواء؟ قال نعم: خذ خربقا وسلفقا وشبرقا فزهزقه وزقزقه واغسله بماء ذوب واشربه. فقال له أبو علقمة: لم أفهمك. فقال: ما أفهمتك إلا كما أفهمتني!.

وقال له مرة أخرىٰ: إني أجد معمعة وقرقرة. فقال: أما المعمعة فلا أعرفها، وأما القرقرة فضراط لم ينضج.

-وقال أبو الأسود الدؤلي لأبي علقمة: ما حال ابنك؟ قال: أخذته الحمّىٰ فطبخته طبخا، ورضخته رضخا، وفتخته فتخا، فتركته فرخا (أوهنته). قال: فما فعلت زوجته التي كانت تشارّه وتهارّه وتمارّه وتزارّه؟ (تخاصمه وتجادله) قال: طلّقها فتزوجت بعده فحظيت وبظيت. قال: فما بظيت؟ فقال له: حرف من الغريب لم يبلغك.

فقال: يا بن أخي، كل حرف لا يعرفه عمّك فاستره كما تستر السّنور خرأها.

- ودعا أبو علقمة بحجام يحجمه، فقال له: أنْقِ غسل المحاجم، واشدد قضُب الملازم، وأرهف ظُبات المشارط، وأسرع الوضع، وعجل النزع؛ وليكن شرطك وخزا، ومصّك نهزا، ولا ترُدّن آتيا، ولا تُكرهن آبيا.

فوضع الحجّام محاجمه في جُونته (علبته) ومضىٰ عنه.

-وسمع أعرابي أبا المكنون النحويّ في حلقته وهو يقول في دعاء الاستسقاء: اللهم ربّنا وإلهنا ومولانا، فصلّ علىٰ محمد نبينا، اللهم ومن أراد بنا سوءا فأحط ذلك السوء به كإحاطة القلائد بأعناق الولائد، ثم أرسخه علىٰ هامته كرسوخ السّجّيل علىٰ أصحاب الفيل؛ اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريثا مريعا مجلجلا مسحنفرا هزجا، سحاّ سفوحا، طبقا غدقا مثعنجرا نافعا لعامّتنا وغير ضار لخاصتنا. (يعني المطر الكثير) فقال الأعرابي: يا خليفة نوح، هذا الطوفان وربّ الكعبة، دعني حتىٰ آوي إلىٰ جبل يعصمني من الماء.

وسمعه مرة أخرىٰ يقول في يوم برد: إن هذا يوم بلّة عصبصب (شديد)، بارد هلّوف (ثقيل). فارتعد الأعرابي وقال: والله هذا مما يزيدني بردا.

-وخطب أبو بكر المنكور فأغرب في خطبته وتقعّر في كلامه؛ وعند أصل المنبر رجل من أهل الكوفة يقال له حنش؛ فقال لرجل إلىٰ جنبه: إني لأبغض الخطيب يكون فصيحا بليغا متقعّرا. وسمعه أبو بكر المنكور الخطيب. فقال له: ما أحوجك يا حنش إلىٰ مدحرج مفتول لين الجلاد لدن المهزّة عظيم الثمرة، تؤخذ به من مغرز العنق إلىٰ عَجْب الذنب، فتكثر له رقصاتك من غير جذل.

-وقال حبيب الطائي:

فما لك بالغريب يد ولكن** تعاطيك الغريب من الغريب

-ومن قولنا نمدح رجلا باستسهال اللفظ وحسن الكلام:

قول كأنّ فريده** سحر علىٰ ذهن اللّبيب

لا يشمئزّ علىٰ اللّسان** ولا يشذ عن القلوب

لم يغل في شنع اللّغا** ت ولا توحّش بالغريب

سيف تقلّد مثله** عطف القضيب علىٰ القضيب

هذا تجذّ به الرّقا** ب وذا تجذّ به القلوب